التكرار وأسراره البلاغية
عند ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

إعداد دكتور

رجب محمد سلم رفاعي

مدرس البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر ــ بدسوق (بنين)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

==========

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وسيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ؛؛؛

فهذا بحث موجز حول موضوع التكرار عند ضياء الدين بن الأثير سميته "التكرار وأسراره البلاغية" عند ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تناولت فيه ما ذكره ابن الأثير من تعريفات وتقسيمات وأغراض ، وما أورده من أمثلة لهذه التقسيمات بالبحث والدراسة والنقد ، محاولا كشف النقاب عن ما وافق فيه البلاغيين ، وما انفرد به ، وما له وما عليه من خلال المقارنات والموازنات بينه وبين ما قاله البلاغيون في هذا الموضوع .

وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع ما وجدته لابن الأثير من آراء وتقسيمات متعددة للتكرار عند تصفحي له يكاد يكون منفردا بها عن كثير من البلاغيين ، فضلا عن ما أورده من أمثلة كثيرة لهذا الباب تستحق البحث والدراسة .

لذا أردت أن أقوم بدراسة ما ذكره ابن الأثير في هذا الباب . وأن أحقق القول في ذلك ، مع إلقاء الضوء على ما يمكن أن يستفيد به القارئ والدارس لهذا الموضوع .

- وقد رتبت البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما المقدمة فقد اشتملت على أسباب اختياري لدراسة هذا الموضوع والخطة التي سرت عليها في البحث.

المبحث الأول : الإطناب والتطويل والتكرار والفرق بينها عند ابن الأثير.

المبحث الثاني : حقيقة التكرار وأقسامه.

المبحث الثالث : أضواء على ما ذكره ابن الأثير من أمثلة لأنواع التكرار التي أوردها.

المبحث الرابع : أغراض التكرار وأسراره في ضوء ما أورده ابن الأثير.

خاتمة البحث : وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

والله أسأل أن يرزقنا التوفيق والإخلاص في القول والعمل وأن يجنبنا الخطأ والزلل وهو حسبي ونعم الوكيل : "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

د. رجب محمد سالم رفاعي
مدرس البلاغة والنقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول
الإطناب والتطويل والتكرار والفرق بينها عند ابن الأثير

لما كان الإطناب ضرباً من ضروب الكلام الهامة التي يلجأ إليه الأديب والمحدث في التعبير عن المعاني التي تجول في خاطره ويريد الإفصاح عنها عند اقتضاء المقام ذلك . وكان التكرار نوعاً من أنواع الإطناب عند البلاغيين . ولما كان الإطناب ممدوحاً والتطويل مذموماً يذهب ببلاغة الكلام وروعته ، وكان هناك تشابه بينها رأيت من المناسب قبل أن أتكلم عن التكرار وأقسامه وأغراضه عند ابن الأثير أن أكشف اللثام عن هذه الألوان الثلاثة الإطناب والتطويل والتكرار وعن الفرق بينها في هذا المبحث حتى يكون القارئ على بينة منها .

أولاً : الإطناب

يرى ابن الأثير أن الإطناب ضرب من ضروب التأكيد يؤتي به قصداً للمبالغة وأنه في أصل اللغة مأخوذ من الشيء إذا بالغ فيه ويقال أطنبت الريح إذا اشتدت في هبوبها ، وأطنب في السير إذا اشتدت فيه . وأما في الاصطلاح فهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة(١) .

---

(١) المثل السائر : ج٢ ص ٣٤١-٣٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وقد قسمه إلى قسمين[1] :

القسم الأول : هو الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام .

القسم الثاني : هو الذي يوجد في الجمل المتعددة .

- والقسم الأول : يرد حقيقة ومجازاً .

أما الحقيقة فمثل قولهم : رأيته بعيني أو قبضته بيدي ، ووطئته بقدمي ، وذقته بفمي . وهذا يقال في كل شئ يعظم مناله ، ويعز الوصول إليه ، فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه دلالة على نيله والحصول عليه .

كقول عبادة البحتري[2] :

تـأمَّلْ مِنْ خِلاَلِ السَّجْفِ وانظرْ ... بعينك ما شَربتُ ومن سَقاني

تجد شمس الضحى تدنوا بشمس ... إلىَّ من الرحيق الخسرواني[3]

فلما كان الحضور في هذا المجلس مما يعز وجوده ، وكان الساقي فيه عل هذه الصفة من الحُسن ، قال : انظر بعينك .

---

(١) المرجع السابق : ج٢ ص ٣٤٦ .

(٢) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد ، طائي الأب ، شيباني الأم ، غلب عليه لقب البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر ، ولد سنة (٢٠٤هـ) استيقظت فيه موهبة الشعر مبكرة ، وسرعان ما أخذ يكثر من نظمه في أغراضه المختلفة ، توفي سنة (٢٨٤هـ) . انظر في البحتري وشعره . الأغاني (طبعة الساس) ١٦٧/١٨ . والموشح للمرزباني .

(٣) السَّجف بفتح السين وكسرها . الستر ، والسجف الستران المقرونان بينهما فرجة ، أو كل باب سُتِر بستربن مقرونين ، فكل شق سجف . وفي الديوان : تأمل من خلال الشك فانظر .

والبيتان من قصيدة له في مدح المعتز بالله ومطلعها :

روبدك إن شأنك غير شاني ... وقصرك لست طاعة من نهاني

انظر الديوان ج١ ص ٩٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنه قوله تعالى : "ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ[1]" فإن هذا القول لما كان فيه افتراء عظَّم الله تعالى على قائله : ألا ترى إلى قوله تعالى في قصة الإفك : "إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكُمْ به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم[2]" فصرَّح في هذه الآية إلى تعظيم الأمر المقول .

وفي مساق الآية المشار إليها جاء قوله تعالى : "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعيائكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[3]" .

فمساق الكلام أن الإنسان يقول لزوجته ، "أنت علَّى كظهر أمي" . ويقول لمملوكه : "يا بني" فضرب الله مثالاً ، فقال :"كيف تكون الزوجة أمًّا ؟ وكيف يكون المملوك ابنا ؟ . الجمع بين الزوجية والأمومة ، وبين العبودية والنبوة في حالة واحدة كالجمع بين القلبين في الجوف ، وهذا تعظيم لما قالوه ، وإنكار له ، ولما كان الكلام في حال الإنكار والتعظيم أتى بذكر الجوف ، وإلا فقد عُلِمَ أن القلب لا يكون إلا في الجوف ، والتمثيل يصح بقوله تعالى "ما جعل الله لرجل من قلبين" وهو تام لكن في ذكر الجوف فائدة وهي ما أشرت إليها [illegible] أيضا زيا[illegible] تصوير للمعنى المقصود لأنه إذا سمعه المخاطب به صوَّر لنفسه جوفا يشتمل على قلبين ، فكان ذلك أسرع إلى إنكاره .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٤) .

(٢) سورة النور الآية (١٥) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعليه ورد قوله تعالى "فخر عليهم السقف من فوقهم[1]" . فكما أن القلب لا يكون إلا في الجوف ، فكذلك السقف لا يكون إلا من فوق ، وهذا مقام ترهيب وتخويف ، كما أن ذاك مقام إنكار وتعظيم .

ألا ترى إلى هذه الآية بكمالها ، وهي قوله تعالى : "قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون[2]" . ولذكر لفظة "فوقهم" فائدة لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس هذا من نفسك ، فإنك إذا تلوت هذه الآية يخيل إليك أن سقفا خرَّ على أولئك من فوقهم ، وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة .

وأما ما جاء على سبيل المجاز : فكقوله تعالى : "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور[3]" . ففائدة ذكر الصدور هاهنا أنه قد تُعورف وعُلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب حدقة العين بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب تشبيه ومثل ، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار ، احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ، ليتقرر أن مكان العمى إنما هو القلوب ، لا الأبصار .

- القسم الثاني المختص بالجمل : ويشتمل على أربعة أضرب .

الضرب الأول : أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعاني متداخلة إلا أن كل معنى يختص بخاصية ليست للآخر وذلك كقول أبي تمام[4] :

---

(١) سورة النحل ، الآية (٢٦) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٢٦) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٤٦) .

(٤) أبو تمام ، هو حبيب بن أوس الطائي ، المكنى بأبي تمام الشاعر المشهور ، والذي ألف الآمدي فيه ، وفي عبادة البحتري كتابه (الموازنة) المشهور .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قَطَعَتْ إلى الزابيين هباته والتاث مَا مُولُ السحاب المُسْبِلِ (١)

من مِنَّةٍ مشهورة وصنيعةٍ بِكْرٍ وإحسان أعزَّ مُحَجَّلِ

فقوله مِنَّةٍ مشهورة ، وصنيعةٍ بكر ، وإحسان أعزَّ مُحَجل تداخلت معانيه ، إذ المنَّة والصنيعة والإحسان متقارب بعضه من بعض ، وليس ذلك بتكرير ، لأنه لو اقتصر على قوله منة وصنيعة وإحسان لجاز أن يكون تكريرا ، ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير ، فقال "مِنَّة مشهورة" ، فوصفها بالاشتهار لعظيم شأنها ، "وصنيعةٍ بِكْر" فوصفها بالبكارة ، أي : إنها لم يؤت بمثلها من قبل ، "إحسان أعز محجل" فوصفه بالعزة والتحجيل ، أي هو ذو محاسن متعددة، فلما وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شئ واحد بأوصاف متباينة صار ذلك إطنابا .

الضرب الثاني : ويسمى النفي والإثبات :

وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الإثبات ، أو بالعكس ، ولابد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر ، وإلا كان تكريراً ، والغرض منه المعنى المقصود ، ومما جاء منه قوله تعالى : "لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (٢)" . ألا

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٢٣٣ من قصيدة له في مدح الحسن بن وهب ، مطلعها :

ليس الوقوف يكف شوقك فأنزل تبلل عليلا بالدموع فيبلل

في الأصل "الرابيين" موضع "الزابيين" وهما نهران ، وفيه "التاث" من غير واو العطف ، و"مأمور" موضع "مأمول". والتصويب عن الديوان ، ومعنى التاث أبطأ ، والمسبل : الممطر .

(٢) سورة التوبة . الآيتان (٤٤ ، ٤٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ترى أنه تعالى قال : "لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم" ، ثم قال تعالى : "إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر" والمعنى في ذلك سواء ، إلا إنه زاد في الثانية قوله تعالى : "وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون" . ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير.

وعليه ورد قوله تعالى : "الم . غلب الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون"(١) . فقوله تعالى : "يعلمون" بعد قوله تعالى : "لا يعلمون" من الباب ، ألا ترى أنه نفي العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده ، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا ؟ فكأنهم علموا وما علموا ، إذ العلم بظاهر الأمور ليس بعلم ، وإنما العِلْم هو ما كان بالباطن من الأمور.

الضرب الثالث : أن يذكر المعنى الواحد تامًا لا يحتاج إلى زيادة ، ثم يضرب له مثال من التشبيه . كقول أبي عبادة البحتري(٢) :

ذات الحُسن لو استزادت من الحُـ ... سن إليه لما أصابت مزيدًا(٣)

فهي كالشمس بهجة والقضيب الـ ... لدن قداً والريم طَرْفا وجيداً(٤)

---

(١) سورة الروم : الآيات (١-٧) .

(٢) سبق التعريف به ص (٩) .

(٣) ديوان البحتري : ٣٤/٢ من قصيدة له في الفخر مطلعها :

إنما الغنى أن يكون رشيدًا ... فانقصا من ملامه أو فزيدا

(٤) روى هذا البيت في الديوان هكذا :

فهي الشمس فحة ، والقضيب الغض ليا ، والرئم طرفا وجيدا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألا ترى أن الأول كان في بلوغ الغاية في الحسن ، لأنه لما قال : لو استزادت لما أصابت مزيدًا ، دخل تحته كل شئ من الأشياء الحسنة ، إلا أن للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرًا أو تخييلاً ، لا يحصل له من الأول ، وهذا الضرب من أحسن ما يجئ في باب الإطناب .

الضرب الرابع : أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب ، أو خطبة أو قصيدة . وقد أتى ابن الأثير لهذا الضرب بأمثلة من كتاباته استغرقت من (٣٥٥-٣٨٣جـ١) .

- وقفة :

هذا ما أورده ابن الأثير في الإطناب وأقسامه . ومن خلال نظرة تأملية فيما أورده يمكن أن نستنتج الآتي :

أولاً : أن ابن الأثير يرى أن الإطناب إطناب موضوع فلا عبرة بعدد الكلمات ، أو الجمل بل المعول عليه هو اقتضاء المقام .

ثانيًا : مثل ابن الأثير للضرب الثاني من الإطناب والذي سماه النفي والإثبات بقوله تعالى : "لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون" . ثم علق على هاتين الآيتين بقوله : ألا ترى أنه تعالى قال : "لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم" ثم قال تعالى : "إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر" والمعنى في ذلك سواء .

وبالتأمل في الآيتين الكريمتين نلحظ أن المعنى فيهما ليس سواء كما ذهب ابن الأثير ، فالآية الأولى : إخبار عن حال المؤمنين ، والآية الثانية إخبار عن حال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنافقين ، ثم الإطناب كما عرفه : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، وليس هنا زيادة في اللفظ على المعنى الأمر الذي يرجح أن تكون الآيتين ليستا من الإطناب .

ثالثًا : أن ابن الأثير استمد كثيرًا من تحليلاته التي أوردها عند تمثيله من الكشاف دون أن ينوه إليه ، من ذلك ما قاله في قوله تعالى : "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" .

يقول الزمخشري في هذه الآية الكريمة : "فإن قلت : أي فائدة في ذكر الصدور" قلتُ : الذي قد تعورف واعتقد لأن العمى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب استعارة ومثل ، فلما أريد ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الإبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تبين وقضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار ، كما تقول : ليس المضاء للسيف ولكن للسانك الذي بين فكيك ، فقولك : "الذي بين فكيك" تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لأن محل المضاء هو لا غير ، وكأنك قلت : ما نفيتُ المضاء عن السيف وأثبتهُ للسانك فلتة ، ولا سهواً مني ، ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا(١) .

فبالنظر في كلام كل منهما حول الآية الكريمة نجد أن ما ذكره ابن الأثير لا يختلف عن ما ذكره الزمخشري في شئ يذكر .

يقول الدكتور أبو موسى بعد ذكره لما قاله ابن الأثير ، وما قاله الزمخشري حول هذه الآية : "وبالمقارنة نلحظ أن ابن الأثير لم يغير إلا في كلمات ليس التغيير فيها ذا غناء على أنه يحذف من كلام الزمخشري أحيانًا صورًا وأمثالاً لا يذكرها

---

(١) الكشاف : ج٣ ص ١٢٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزمخشري لبيان طريقة الأسلوب كما رأيناه هنا يحذف قولهم : "ليس المضاء للسيف ... إلى آخره"(١) .

رابعًا : أن ابن الأثير رغم تأثره بالزمخشري في كثير من تحليلاته وتعليقاته التي أوردها حول ما ذكره نجد أنه غالبًا ما يكون له ذوقه الخاص في فهمه للأساليب وما تحويه التراكيب من أسرار بلاغية تفصح عن سر الإطناب ، وحمل المتكلم عليه .

من ذلك ما ذكره حول قوله تعالى : "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه" إذ يقول : ولما كان الكلام في حال الإنكار والتعظيم أتى بذكر الجوف ، وإلا فقد علم أن القلب لا يكون إلا في الجوف .

وقوله أيضا : ولذكر لفظة "فوقهم" وفي قوله تعالى : "فخر عليهم السقف من فوقهم" فائدة لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام ، وأنت تحس هذا من نفسك ، فإنك إذا تلوت هذه الآية الكريمة يُخيل إليك أن سقفًا خرت على أولئك من فوقهم ، وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة ... إلى غير ذلك مما ذكره في مبحث الإطناب .

خامسًا : أن الأقسام التي أوردها ابن الأثير للإطناب لم نر شيئًا منها عند الخطيب القزويني ، ويبدو أنها لم ترق له ، فقد ذكر للإطناب أقسامًا أخرى هي : الإيضاح بعد الإبهام ، وذكر الخاص بعد العام ، والتكرير ، والإيغال ، والتذييل ، والتكميل ويسمى الاحتراس ، والأعتراض(٢) .

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٦٧٢ .

(٢) ينظر الإيضاح . لتلخيص المفتاح ج٢ ص (١٣٣-١٥٠) شرح الشيخ عبد المتعال .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسا : الدارس لكتاب ابن الأثير يجد فيه خمس صور من صور الإطناب التي أوردها الخطيب . وهي التكرير[١] ، وذكر الخاص بعد العام[٢] ، والاعتراض[٣] ، والإيضاح بعد الإبهام الذي سماه التفسير بعد الإبهام[٤] ، والإيغال[٥] . وإن كان ابن الأثير لم يجعل هذه الصور من الإطناب .

ثانيا : التطويل

ذكر ابن الأثير أن التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة[٦] . ولعله بهذا لم يفرق بين التطويل والحشو ، إذ التطويل عند البلاغيين[٧] : هو أن يزيد اللفظ على أصل المراد لا لفائدة ، ولا يكون اللفظ الزائد متعينا كقول عدي بن زيد العبادي[٨] :

---

(١) المثل السائر ج٣ ص (٣-٤٠) .

(٢) المرجع السابق ج٢ ص (٢٠٣) .

(٣) المرجع السابق ج٣ ص (٤٠) .

(٤) المرجع السابق ج٢ ص (١٩٦) .

(٥) المرجع السابق ج٣ ص (٢٠٨-٣١٠) .

(٦) المرجع السابق ج٢ ص (٢٤٤) .

(٧) ينظر شروح التلخيص ج٣ ص (١٧٤ ، ١٧٥) .

(٨) قيل : إنه لعدي بن الأبرش . وقوله قددت بمعنى قطعت وضميره للرباب ملكة تدمر ، والأديم الجلد ، الراهشان : عرقان في باطن الذراع . والضمير المضاف إليه لخذيمة بن الأبرش ملك الحيرة . وقصتهما معروفة ، واللام في "الراهشيه" بمعنى إلى التي للغاية . أي قطعت الجلد الملاصق العروق إلى أن وصل القطع للراهشين . وفي رواية "كلتا يديها" وعليها فلا شاهد في البيت ، وهذه الرواية خلاف رواية الجمهور وإن كانت موافقة للقاعدة ، لأن أيديها كلها مكسور فيها ما قبل الياء . ينظر حاشية الدسوقي . ضمن شروح التلخيص ج٣ ص (١٨٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفاجأها وقد جمعت جموعا على أبواب حصن مصلتينا

وقدَّدت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذبا ومينا

فإن الزائد هو كذبا ، أو مينا . ولا يتعين أحدهما للزيادة ولا يترجح حيث إن الكذب والمين واحد .

ويرى صاحب عروس الأفراح[1] أنه لا تطويل في البيت وأنه من باب التأكيد بذكر الشيء مرتين ، إذ نراه يقول معترضا على من يرى أن في البيت تطويلاً : وفيه نظر لأن ذكر الشيء مرتين فيه فائدة التأكيد . وقد قال النحاة إن الشيء يعطف على نفسه تأكيدًا ، وعدم تعين الزائد لا يدفعها ، والفائدة التأكيدية معتبرة في الإطناب كما ستراه في غير موضوع ، ثم قولهم إن الزائد لم يتعين ولم يترجح كما صرح به بعضهم فيه نظر : فإن الأول مترجح أو متعين لأنه السابق لتكملة الكلام ، ولأن الثاني مؤكد ، والمؤكد متأخر عن المؤكد أبدًا[2] .

وقد نقل الدسوقي[3] ما ذكره العلاَّمة عبد الحكيم السيالكوتي رداً على ما ذهب إليه صاحب عروس الأفراح بقوله : "ولا يقال فائدته التوكيد إذ عطف أحد

---

(١) هو أحمد بن علي بن عبد الكافي العلاَّمة بهاء الدين أبو حامد السبكي ابن شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن السبكي أخذ العلم عن مشيخة عصره ، برع في العلم وهو شاب وتولى التدريس وهو شاب بمدارس عدة ثم ولي قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل . من مؤلفاته عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح توفي في سنة (٧٧٣هـ) . انظر كتاب تاريخ علوم البلاغة للمراغي ص (١٤٤) .

(٢) ينظر عروس الأفراح . ضمن شروح التلخيص ج٣ ص (١٧٤) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي . ولد في بلدة دسوق من قرى مصر ، ثم حضر إلى القاهرة وحفظ القرآن الكريم وجوده . ولازم دروس العلم في الأزهر الشريف على عدد من العلماء الأجلاء أمثال الشيخ الصعيدي ت. ١١٨٩هـ . والشيخ الحفني ت. ١١٧٨هـ . والشيخ النفراوي ت. ١١٨٨هـ وغيرهم من العلماء . اشتهر في عصره بحل المشكلات ، وفتح باب المعضلات بأسلوب عذب ، وتحرير بديع : ترك =

المترادفين على الآخر يفيد تقرير المعني لأنا نقول : التأكيد إنما يكون له فائدةٌ إن قُصدَ لاقتضاء المقام إياه ، وليس مقام هذا الكلام مقتضيا لذلك ، لأن المراد منه الإخبار بمضمون المقصود ، وهو أن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه وسال منه الدم حتى مات ، وأنه وجد ما وعدته به من تزوجه كذبا . فإن قلت إن الثاني وهو المين متعين للزيادة لأن الأول واقع في مركزه ، والثاني معطوف عليه قلت : مدار اليقين أنه لم يتغير المعنى بإسقاط أيها كان ، فالزائد غير متعين ، وإن تغير بإسقاط أحدهما دون الآخر، فالزائد هو الآخر ولا يعتبر في ذلك كون أحدهما مقدما والآخر مؤخراً(١) .

والحشو: هو أن يزاد في الكلام زيادة بلا فائدة بشرط تعين تلك الزيادة فالفرق بين الحشو والتطويل على هذا تعين الزيادة وعدمها(٢) .

ثم الحشو لما تعينت فيه الزيادة تصور فيه قسمان :

أحدهما : ما يسمى بالحشو المفسد لإفادته معنى فاسداً وذلك ككلمة "الندى" في قول المتنبي (٣) .

= مؤلفات قيمة منها حاشية على مغني اللبيب لابن هشام وحاشية على مختصر سعد الدين التفتازاني وغيرها توفي رحمه الله سنة ١٢٣٠هـ . ينظر شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ص ٣٦١ .

(١) ينظر حاشية الدسوقي . ضمن شروح التلخيص ج٣ ص ١٧٣ .

(٢) ينظر مواهب الفتاح . ضمن شروح التلخيص ج٣ ص ١٧٣ .

(٣) أبو الطيب المتنبي هو شاعر العرب الكبير ، وأشعر شعراء المحدثين ، وهو أبو الطيب أحمد الحسين ، ولد بالكوفة ، لأب جعفي يمني ، وأم حمدانية يمنية ونشأ بها ، وتقلبت به الأيام بين حلو ومر ، وسعادة وشقاء ، مدح كثيرًا من أعلام عصره مثل سيف الدولة ، وكافور الإخشيدي ، وعضد الدولة ، وابن العميد وغيرهم من الأمراء ، وذوي الشأن ، ونال حظوة عند كثيرين ، كما باء بالسخط والكراهية عند آخرين ، وانتهت حياته بمأساة عنيفة ، إذ خرج عليه بعض الأعراب لدى عودته من فارس إلى الكوفة وقتلوه قرب الكوفة سنة ٣٥٤هـ انظر الإبانة عن سرقات المتنبي لأبي سعد محمد بن العميد ط. دار المعارف ص ٥ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لِقاءُ شَعوب[1]

فإن لفظ "الندى" فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت . وهذا صحيح في الشجاعة والصبر دون الندى ، لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف باذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ، ولهذا يقول إذا عوتب فيه كيف لا أبذل مَالاً أُبْقِىَ له ؟ إني أثق بالتمتع بهذا المال .

وعليه قول طرفه[2] :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرني أبادرها بما ملكت يدي[3]

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل فالشجاعة لولا الموت لم تحمد ، والندى بالضد ، وأجيب عنه بأن المراد بالندى في البيت بذل النفس لا بذل المال[4] .

الثاني : ما لا يفسد المعنى كقول الشاعر[5] :

ذكرت أخي فعاودني صداعُ الرأس والوصب

---

(١) الندى : الكرم ، وشعوب : علم جنس للمنية وهي الموت .

(٢) هو عمرو بن العبد المعروف بطرفة ، الديوان ص ١٢٥ .

(٣) المنية الموت ، وقوله ذرني أبادرها بمعنى أتركني أسبقها بالتمتع بمالي قبل أن تحرمني منه ، وهذا هو معنى قول من يعاتب في بذل ماله ، كيف لا أبذل . الخ . ينظر بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال ج٢ ص ١١٤ .

(٤) ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح شرح الشيخ عبد المتعال ج٢ ص (١١٣ ، ١١٤) .

(٥) هو لأبي العيال بن أبي عنترة الخفاجي الهذلي من قصيدته في رثاء أخ له . والصداع : وجع الرأس ، والوصب: المرض والوجع الدائم . وأخذ عليه أيضا . أن الذاكر لما فات من محبوب يوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع . ينظر ديوان الهذليين ج٢ ص ٢٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن لفظ الرأس فيه حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس وليس بمفسد للمعنى .

وقول زهير[1] :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

فقوله : "قبله" حشو لأن الأمس يدل على القبلية لليوم وقد تعين للزيادة إذ لا يصح عطفه على اليوم كما عطف الأمس . فيكون التقدير : وأعلم علم قبله بالإضافة إلا بالتعسف ، وأيضًا المناسب حيث أراد الجمع بين الثلاثة الغد واليوم وغيرهما أن يذكر : أمس ، لأنه هو المستعمل كثيرًا في مقابلة كل من الغد واليوم لا لفظ القبل فيتعين للزيادة ، فلا يقال : هو كالمين بالنسبة إلى الكذب[2] ، وهو غير مضر ، إذ لا يبطل بوجوده المعنى[3] .

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى . وهذا البيت من آخر قصيدته التي قالها في الصلح الواقع بين قيس وذبيان . وأولها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

ومعنى البيت : أن علمي يحيط بما مضى وبما هو حاضر ولكنني عم عن الإحاطة بما هو منتظر متوقع : يريد لا أدري ماذا يكون غدًا .

(٢) أي في قول الشاعر : وألفى قولها كذبًا وميما . ينظر ص ١١٤ من البحث .

(٣) ينظر مواهب الفتاح . ضمن شروح التلخيص . ج٣ ص ١٧٨ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا : التكرار

عرف ابن الأثير التكرار : بأنه دلالة اللفظ على المعنى مرددًا(١) .

ومثل له بقوله : كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ، فإن المعنى مردد واللفظ واحد ، ثم عقد له بابا خاصا عن باب الإطناب تكلم فيه عن حقيقته ، وأقسامه وأغراضه بشيء من التفصيل سنعرض له في المباحث التالية إن شاء الله .

الفرق بين الإطناب والتطويل والتكرار

من خلال هذه الدراسة لما ذكره ابن الأثير عن الإطناب والتطويل والتكرار نستطيع أن نقول : إن الفرق بين الإطناب والتطويل والتكرار في نظر ابن الأثير هو أن الإطناب زيادة اللفظ فيه عن المعنى لفائدة . والتطويل : الزيادة فيه لغير فائدة . أما التكرار فإنه دلالة اللفظ على المعنى مرددًا . وقد قسمه ابن الأثير كما سنرى في حينه إن شاء الله إلى مفيد ، وغير مفيد . وجعل المفيد جزءًا من الإطناب ، وغير المفيد جزءًا من التطويل .

وإذا كان ابن الأثير قد ذكر(٢) أنه كان حائرًا في الفرق بين الإطناب والتطويل حتى اهتدى إلى أن الإطناب لابد فيه من فائدة في الكلام كتنوع المعنى أو

---

(١) ينظر المثل السائر ج٢ ص ٣٤٥ .

(٢) ينظر المثل السائر ج٢ ص ٣٤٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تأكيده أو التصرف في الكلام ضربًا من التصرف يزيد في حسنه ، فإنه لو وقف على صوره عند الزمخشري في تفسيره ودرسها وتأثر بها كتأثره بتحليلاته لكثير من الآيات الكريمة التي مثل بها لوقاه هذا تلك الحيرة ، وأدى به إلى الإتيان بتقسيمات أكثر وضوحًا وفائدة .

يقول الدكتور شوقي ضيف : "كان حريا بابن الأثير أن يعود إلى صور الإطناب التي وقف عندها الزمخشري (١) في تفسيره (٢) حتى تنكشف عنه الحيرة ويكتب فيه بدقة أكثر ، وتصوير أوضح (٣) .

(١) هو محمد بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، كان معتزلي المذهب ، توفي سنة ٥٣٨هـ . انظر ترجمته في الأنساب للسمعاني الورقة (٢٧٧) ومعجم البلدان في مادة : زمخشر ، ومعجم الأدباء ج١٩ ص ١٢٦ .

(٢) المسمى بالكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .

(٣) البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٣٤ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

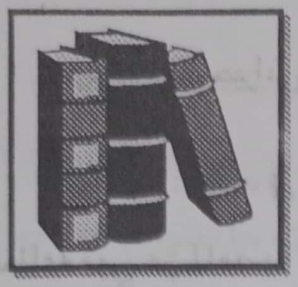

المبحث الثاني
حقيقة التكرار وأقسامه عند ابن الأثير

يعد التكرار لونا من ألوان التعبير الهامة لما يحويه من أسرار ولطائف تدل على كبير فائدته ، وعظيم شأنه . لذا نرى ابن الأثير قد أفرده بالبحث والدراسة عن الإطناب ، وجعله بابا مستقلا عنه وقسمه عدة تقسيمات . وأورد لكل قسم مجموعة من الأمثلة تناولها بالشرح والتحليل .

وفي هذا المبحث سأعرض لحقيقة التكرار ، وأقسامه في ضوء ما أورده ابن الأثير.

أولاً : حقيقة التكرار

سبق أن عرفه ابن الأثير عند كلامه عن الإطناب : بأنه هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً(١) .

ثانيًا : أقسامه

قسم ابن الأثير التكرار قسمين(٢) :

أحدهما : يوجد في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه : "أسرع أسرع" ومنه قول أبي الطيب المتنبي(٣) :

---

(١) ينظر المثل السائر . ج٢ ص ٣٥٧ .

(٢) ينظر المرجع السابق ج٣ ص ٣ .

(٣) سبق التعريف به ص ١١٦ من البحث .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام(١)

والآخر: يوجد في اللفظ دون المعنى كقولك: " أطعني ولا تعصني" فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية.

وكل من هذين القسمين ينقسم إلى: مفيد وغير مفيد:

فالمفيد: يأتي في الكلام تأكيدًا له وتشييدًا من أمره، للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه، أو ذمه، أو غير ذلك.

وغير المفيد: لا يأتي في الكلام إلا عيا وخطلا من غير حاجة إليه.

هذا .وقد أورد ابن الأثير ست صور للتكرير. أربع للذي لفائدة، وصورتين للذي غير فائدة، واتبع كل صورة منها بمجموعة من الأمثلة.

صور التكرار

١) تكرار مفيد يوجد في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان:

كقوله تعالى: "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولوكره المجرمون(٢)".

---

(١) ينظر ديوان المتنبي ج٤ ص ٧٩ من قصيدته في مدح المغيث بن علي العجلي ومطلعها:

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مُثل ما تهب اللئام

(٢) سورة الأنفال. الآيتان (٧، ٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا التكرير في اللفظ والمعنى ، وهو قوله تعالى : "يدق الحق ، وليحق الحق" . وإنما جئ به هاهنا لاختلاف المراد ، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين . والثاني : بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ، وأنه ما نصرهم ، وخذل أولئك إلا لهذا الغرض .

وقوله تعالى : "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصا له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه"(١) .

فكرر قوله تعالى : "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين" . وقوله تعالى: "قل الله أعبد مخلصا له ديني" والمراد به غرضان مختلفان ، وذلك أن الأول إخبارٌ بأنه مأمورٌ من جهة الله بالعبادة له والإخلاص في دينه ، والثاني إخبار بأنه يخصُّ الله وحده دون غيره بعبادته ، مخلصا له دينه ، ولدلالته على ذلك قدَّم المعبود على فعل العبادة في الثاني ، وأخَّره في الأول ، لأن الكلام أولاً : واقع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانيًا : فيمن يُفْعلُ الفعلُ من أجله ، ولذلك رتب عليه قوله تعالى : "فاعبدوا ما شئتم من دونه" .

ومن هذا النحو قوله تعالى : "كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد . وثمود وقوم لوط وأصحابُ الأيكة أولئك الأحزاب . إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب"(٢) وإنما كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة ، فذكره ، أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ، ثم بالجملة الاستثنائية فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ، لأنهم إذا كذبوا

---

(١) سورة الزمر . الآيات من (١١-١٥) .

(٢) سورة ص . الآيات (١٢ ، ١٣ ، ١٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم ، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً ، وبالاستثنائية ثانيًا ، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه .

وهذا باب "من تكرير اللفظ والمعنى حسنٌ غامض ، وبه تعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره .

٢) تكرار مفيد يوجد في اللفظ والمعنى ، يدل على معنى واحد ، والمراد به غرض واحد :

كقوله تعالى : "فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر[١]" . والتكرير دلالة التعجب من تقديره ، وإصابته الغرض ، وهذا كما يُقال "قتله الله ما أشجعه ! أو ما أشعره" وعليه ورد قول الشاعر :

ألا يا اسلمي ثُمَّ اسلمي ثُمَّتَ اسلمي[٢]

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة ، وكل هذا يجاءُ به لتقرير المعنى المراد إثباته . ومن هذا قوله تعالى : "وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار[٣]" . فإنه إنما كرر نداء قومه هنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سِنَةِ الغفلة ، ولأنهم قومه وعشيرته ، وهم فيما يوبقهم من الضلال ، وهو يعلم وجه خلاصهم ، ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزَّن لهم ، ويتلطف بهم ، ويستدعي بذلك ألا يتهموه . فإنَّ سرورهم سروره ، وغمهم

---

(١) سورة المدثر . الآيتان (١٩ ، ٢٠) .

(٢) صدر بيت : وعجزه : ثلاث تحيات وإن لم تكلمي والبيت في ديوان الحماسة (١٣٧/٢) . والبيت ثالث ثلاثة أبيات رواها أبو تمام ، و لم ينسبها لصاحبها .

(٣) سورة غافر . الآيتان (٣٨ ، ٣٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غمَّهُ، وأن ينزلوا على نصيحته لهم. وهذا التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز، وأشدُّ موقعا من الاختصار.

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر: "فذوقوا عذابي ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر". فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيرًا، وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إدِّكارًا وإيقاظًا، وأن يستأنفوا تنبُّهًا واستيقاظًا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث إليه، وأن تُقْرَع لهم العصا مرات، لئلا يغلبهم السهو، وتستولي عليهم الغفلة.

وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن: "فبأي آلاء ربكما تكذبان" وذلك عند كل نعمة عدَّدَها على عباده. وأمثال هذا في القرآن الكريم كثير.

ومما ورد من هذا النوع شعرًا قولُ بعض شعراء الحماسة(١):

إلى معدنِ العِزِّ المؤثل والنَّدَى هناك هناك الفضل والخُلقُ الجَزْلُ(٢)

فقوله "هناك هناك" من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز، لأنه معرض مدح، فهو يقرِّر في نفس السامع ما عند الممدوح من هذه الأوصاف المذكورة مشيرًا إليها، كأنه قال أدلكم على مَعْدِنِ كذا وكذا ومقرِّهِ ومُفَادِهِ.

وكذلك ورد قول المساور بن هند(٣):

---

(١) نسبه أبو تمام إلى خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة، وهو شاعر إسلامي مجيد مقل: عاصر جريرا والفرزدق، ويعرف بالأقطع، لأنه قطعت يده بسرقة اتهم بها.

(٢) رواية ديوان الحماسة ٣٣٦/٢ "المؤيد" موضع "المؤثل" والبيت من جملة أبيات أولها:

عدلت إلى فخر العشيرة والهوى إليهم وفي تعداد مجدهم شغل

(٣) هو ابن قيس بن زهير بن حذيفة بن خزيمة بن رواحة، هكذا قال التبريزي، وقال غيره: هو شاعر إسلامي مقل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جزى الله عني غالبًا من عشيرة　　إذا حدثانُ الدهر نابت نوائبه[1]

فكم دافعوا منْ كربة قد تلاحمت　　علَّي ومَوْجٍ قد علتني غواربه

فصدر البيت الثاني وعجزه يدُلان على معنى واحد ، لأن تلاحم الكرب عليه كتعالي الموج فوقه ، وإنما سوغ ذلك لأنه مقام مدح وإطراء ، ألا ترى أنه يصف إحسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير ، وفي قبالته لو كان القائل هاجيا ، فإن الهجاء في هذا كالمدح ، والتكرير إنما يحسن في كلا الطرفين لا في الوسط .

٣) تكرير غير مفيد يوجد في اللفظ والمعنى[2] . منه قول مروان الأصغر[3] :

سقى الله نجدًا والسلام على نجد　　ويا حبذا نجدٌ على النأى والبعد

نظرت إلى نجد وبغدادُ دونها　　لَعَلِّيَ أرى نجدًا وهيهات من نجد

---

(١) بعد هذين البيتين بيتان ، وهما :

إذا قالت عودوا عاد كل شمردل　　أشم من الفتيان جزل مواهبه

إذا أخذت بزل المخاض سلاحها　　تجرد فيها متلف المال كاسبه

راجع ديوان الحماسة ٢/٢٩١ . ولم ينسب أبو تمام هذه الأبيات للمساور ، ولكنه رواها بعد أبيات للمساور أولها :

فدًا لبني هند دعوتهم　　بجو وبال النفس والأبوان

ثم روى بعد هذه الأبيات الأبيات الأربعة ، ونسبها لآخر . ورواية الحماسة في البيت الأول "جزى الله خيرًا غالبا . . ." والغوارب : أعلى الموج وأعلى الظهر .

(٢) ينظر المثل السائر . ج٣ ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) هو أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة ، وهو مروان الأصغر كان شاعرًا ساقط الشعر ، عاصر الواثق والمتوكل ، وله قصائد عدة في المتوكل وأحمد بن أبي دؤود .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا من العيّ الضعيف ، فإنه كرر ذكر "نجد" في البيت الأول ثلاثا ، وفي البيت الثاني ثلاثا ، ومراده في الأول الثناء على نجد ، وفي الثاني أنه تلفت إليها ناظرًا من بغداد ، وذلك مرمى بعيد ، وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير.

أما البيت الأول فيشتمل على الجائز من التكرير ، لأنه مقام تشوق وتحزُّن ومَوْجدة بفراق نجد . ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير ، على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معاً من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي نواس (١) :

أقمنا بها يومًا ويوما وثالثا ... ويومًا له يومُ الترحُّل خامِسُ (٢)

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام .

ومن هذا الباب قول أبي الطيب :

ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام (٣)

---

(١) أبو نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول شاعر العراق في عصره قال عنه الجاحظ : ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس ولد في الأهواز ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد ، ثم إلى مصر وعاد إلى بغداد، ثم إلى مصر وعاد إلى بغداد وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة .

(٢) ديوان أبي نواس (٢٩٥) من جملة أبيات من حمرياته أولها :

ودار ندامي عطلوها وأدلجو ... بها أثر منهم جد يد ودارس

ورواية الديوان في هذا البيت :

أقمنا بها يوما ويومين بعده ... ويوما له يوم الترحل خامس

(٣) من قصيدته التي أولها :

فؤاد ما تسليه المدام ... وعمر مثل ما تهب اللئام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا التكرير الفاحش الذي يؤثر في الكلام نقصا . ألا ترى أنه يقول : لم أر مثل جيراني في سوء الجوار ، ولا مثلي في مصابرتهم ومقامي عندهم ، إلا أنه كرر هذا المعنى في البيت مرتين .

٤) تكرير مفيد يوجد في المعنى دون اللفظ[١] ، يدل على معنيين مختلفين :

وهو موضع من التكرير مشكل ، لأنه يسبق إلى الوهم ، أنه تكرير يدل على معنى واحد . فما جاء منه قول حاطب بن أبي بلتعه[٢] في غزوة الفتح للرسول ﷺ . "ما فعلت ذلك كفرًا ، ولا ارتدادًا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام" .

فقوله "ما فعلت ذلك كفرًا ، ولا ارتدادًا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام" من التكرير الحسن . . . إذ الذي يدل عليه اللفظ ، هو أني لم أفعل ذلك وأنا كافر . أي باق على الكفر ، ولا مرتدًا ، أي : أني كفرت بعد إسلامي ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، أي : ولا إيثارًا لجانب الكفار على جانب المسلمين . وهذا حسن في مكانه واقع في موقعه .

ومما يكون التكرير فيه دالاً على معنيين مختلفين : ما دل على معنيين : أحدهما خاص والآخر عام[٣] . كقوله تعالى : "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[٤]" .

---

(١) ينظر المثل السائر . ج٣ ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعه اللخمي ، حليف قريش ، ويقال إنه من مذحج . وقيل : هو حليف الزبير بن العوام شهد بدر والحديبية ، ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ابن خمس وستين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وقد شهد الله لحاطب بالإيمان في قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء . . . " وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٣١٢/١ .

(٣) الأولى أن يُقال : أحدهما عام ، والآخر خاص ، إذ المذكور أولاً : هو العام والمذكور بعده هو الخاص ، كما هو واضح من الشواهد التي أوردها .

(٤) سورة آل عمران : الآية : ١٠٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن الأمر بالمعروف خيرٌ، وليس كل خير أمرًا بالمعروف، وذاك أن الخير أنواعٌ كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف. وفائدة التكرير هاهنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله. كقوله تعالى: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى(١)"، وكقوله تعالى: "فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمان(٢)"، وكقوله تعالى: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها(٣)" فإن الجبال داخلة في جملة الأرض، لكن لفظ الأرض عامٌ، والجبال خاص. وفائدته هاهنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتفخيم أمرها.

وما ورد منه شعرًا قول "المقنع الكندي(٤)" من أبيات الحماسة(٥):

وإن الذي بيني وبين أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدًا

إذا أكلوا لحمي وفرْتُ لحومهم ... وإن هدمُوا مجدي بنيت لهم مَجْدِا(٦)

وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غي هويت لهم رُشْدا

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٣٨.

(٢) سورة الرحمن: الآية: ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب: الآية: ٧٢.

(٤) هو محمد بن ظفر بن عمير ينتهي نسبه إلى كنده بن عفير، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجهًا، وكان إذا حر اللثام عن وجهه أصابته العين ويلحقه عنت ومشقة، فكان لا يمشي إلا مقنعًا، هكذا ذكرى التبريزي. وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية، وكان له محل وشرف ومروءة في عشيرته، وكان متخرقا في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء سأله إياه.

(٥) ديوان الحماسة ٣٣/٢ من جملة أبيات أولها:

يعاتبني في الدَّين قومي وإنما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

وانظر أمالي القالي ٢٨٠/١ وفيها ثلاثة أبيات ليست في رواية أبي تمام.

(٦) رواية الحماسة "فإن أكلوا . . ." ورواية الأمالي "فإن يأكلوا . . .".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا من الخاص والعام ، فإن كل لحم يؤكل للإنسان فهو تضييع لغيبه ، وليس كل تضييع لغيبه أكلاً للحمه .

ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب ؟ وأما تضييع الغيب ، فمنه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والإعانة ، ومنه إهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائنا ما كان . وعلى هذا فإن هذين البيتين من الخاص والعام المشار إليه في الآية المقدم ذكرها ، وهو موضع يرد في الكلام البليغ .

٥) تكرير مفيد ، يوجد في المعنى دون اللفظ ، يدل على معنى واحد فقط[١] :

من ذلك قولك : "أطعني ولا تعصني" فإن الأمْر بالطاعة نهي عن المعصية ، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب .

وكقوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم[٢]" . فإنه إنما كرر العفو والصفح والمغفرة "والجميع بمعنى واحد" للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزوج عن زوجته . وهذا أمثاله ينظر في الغرض المقصود به ، وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الإيجاز ، وأولى بالاستعمال .

وقد ورد في القرآن كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : "قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون[٣]" فإن البث والحزن بمعنى واحد ، وإنما كرره هاهنا لشدة الخطب النازل به ، وتكاثر سِهامه النافذة في قلبه ، وهذا المعنى كالذي قبله .

---

(١) ينظر المثل السائر ج٣ ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) سورة التغابن : الآية : ١٤ .

(٣) سورة يوسف الآية : ٨٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك قوله تعالى : "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده[1] . فإن البغضاء والعداوة بمعنى واحد ، وإنما حسن إيرادهما معا في معرض واحد ، لتأكيد البراءة بين إبراهيم صلوات الله عليه والذين آمنوا به ، وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده .

٦) تكرير غير مفيد يوجد في المعنى دون اللفظ[2] :

فمن ذلك قول أبي تمام :

قم الزمانُ رُبوعها بين الصبَّا وقبولِها ودبورها أثلاثا[3]

فإن الصبا هي القبول .

---

(١) سورة الممتحنة : الآية : ٤ .

(٢) ينظر المثل السائر ج٣ ص ٣٥ وما بعدها .

(٣) البيت من قصيدته في مدح مالك بن طوق ومطلعها :

قف بالطول الدراسات علاثا أمست حبال قطينهن رثاثا

(ديوان أبي تمام ٣١٤/١) . وفي القاموس المحيط : القبول ريح الصبا لأنها تقابل الدبور أو لأنها تقابل باب الكعبة، أو لأن النفس تقبلها (مادة قبل) .

وفي شرح الحماسة للمرزوقي : قيل في القبول أنها الصبا ، وقال النضرين شميل : القبول : ريح بين الصبا والجنوب .

وقال ابن الأعرابي : القبول كل ريح لينة طيبة المس تقبلها النفس ، فليس للرَّد على أبي تمام وجه . وقال ابن المستوفي : الصحيح أن الصبا هي القبول ، وما الذي منع أبا تمام أن يجعل موضع (قبولها) (جنوبها) فكان يسلم من التشنيع عليه . ديوان أبي تمام (٣١٥/١) ، وقد ذكر الخفاجي نقد البيت في كتابه "سر الفصاحة. ص ٢٢٦" وكذلك أبو هلال في "الصناعتين . ص ١٣٧" .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنه قول الحطيئة[1] :

قالت أمامه لا تجزعْ فقلت لهـا ... إن العزاء وإن الصبر قد غُلبـا

هلا التمست لنا إن كنتِ صادقةً ... ما لا نعيش به في الناس أو نشبا[2]

فالبيت الأول معيب ، لأنه ذكر العزاء والصبر ، إذ معناهما واحد ولم يردا قافية فيه لأن القافية هي الباء ، وأما البيت الثاني فليس بمعيب لأن التكرير جاء في النشب وهو قافية .

ومما يجري هذا المجرى قول المنخَّل اليشكري :

ولقد دخلت على الفتا ... ة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء تر ... فل في الدمقس وفي الحرير[3]

فإن الدمقس والحرير سواء ، وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك ، فإن قيل إن الحرير هو الإبريسم المنسوج بدليل قوله تعالى : "وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا[4]"

---

(١) الحطيئة : هو جرول بن أوس : أحد الشعراء الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ونشأ فقيرًا ناقما على الدنيا ، وتكسب بشعره وأجاد فيه ، وكان له في الهجاء تفوق وبراعة ، شهد معركة القادسية . وعمر طويلا حتى أدركه منيته في خلافة معاوية .

(٢) البيتان من قصيدته في مدح بغيض ، ومطلعها :

طافت أمامة بالركبان آونة ... يا حسنه من قوام ماشق ومنتقبا

وفي الديوان "في الخرج ، بدلا من الناس" ديوان الحطيئة . ص ١٢١ .

(٣) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

إن كنت عازلي فسيري ... نحو العراق ولا تحوري

ينظر الأصمعيات ٥٢ .

(٤) سورة الإنسان : الآية : ١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإنه لم يرد خيوط إبريسم ، وإنما أراد أثوابًا من الإبريسم ، وأما الدمقس فإنه خيوط الإبريسم محلولة ، بدليل قول امرئ القيس (١) .

وشحم كهداب الدمقس المفتل

فإنه لم يرد إبريسما منسوجا ، وإنما أراد خيوط الإبريسم ، فالجواب عن ذلك أنه لو حمل بيت المنخل على ذلك لفسد معناه ، لأن المرأة لا ترفل في خيوط من الإبريسم ، وإنما ترفل في الأثواب منه ، وأما قول امرئ القيس (كهداب الدمقس) فإنه لو كان الدمقس هو الخيوط المحلولة من الإبريسم لما احتاج أن يقول كهداب ، فإن الهداب جمع هُدْب ، ثم قال (المفَتَّل) ، فدل بذلك على أن الدمقس يطلق على الإبريسم سواء كان منسوجًا أو غير منسوج ، كذلك الحرير أيضًا ، وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقرينة ، ألا ترى أنه لما قال المنخل (ترفل في الدمقس وفي الحرير) فُهِمَ من ذلك انه أراد أثوابًا من الدمقس ومن الحرير ، لأن الرُّفول لا يكون في خيوط من الإبريسم ، وإنما يكون في أثوابه .

وأما ما ورد في أثناء الأبيات الشعرية فكقول عنترة (٢) :

---

(١) هو جندج بن حجر المعروف بامرئ القيس من الشعراء البارزين في الجاهلية . والشطر من البيت :

فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

والبيت من المعلقة التي مطلعها :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول وحوْمل

ينظر الديوان ص ١١ .

(٢) هو عنترة بن شداد العبسي . وهو أحد فرسان العرب وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية ، وكان أبوه وأهله يعدونه في عداد العبيد ، ولكنه كره ذلك ومارس الفروسية وحارب مع قومه في معارك كثيرة ، فكان فارسا مغوارا ذا أثر عظيم ، ولذلك أعتقه أبوه ، وكان فارس عبس الأوحد ، وقد حضر حرب داحس والغبراء وضرب به المثل في الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حبيت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم(١)

فقوله أقوى وأقفر من المعيب ، لأنهما لفظان وردا بمعنى واحد لغير ضرورة ، إذ الضرورة لا تكون إلا في القافية كما رأيتك .

وأما ما ورد من صدور الأبيات فكقول البحتري :

ألمت وهل إلمامها بك نافع وزادت خيالا والعيون هواجع(٢)

فإن قول (ألمت) وقوله (زارت خيالا) سواء ، فلا فرق بين صدرا البيت وعجزه ، فإن قيل إنه أراد بالإلمام زيادة اليقظة ، ثم قال (وزارت خيالا) فالجواب عن ذلك أنه لم يرد إلا زيارة المنام في الحالتين ، لأنه قال : (ألمت وهل إلمامها بك نافع) ولو كان في اليقظة لما قال وهل إلمامها بك نافع ، فإنه لا نفع أنفع من زيارة المحبوب في اليقظة ، وهذا غير خاف لا يحتاج إلى السؤال عنه . فإن قيل لم أجزت ذلك للناظم وحظرته على الناثر ؟

قلت في الجواب : أما الناثر فإنه إذا سمع كلامه فالغالب أن يأتي به مزدوجا على فقرتين من الفقر ، ويمكنه إبدال تلك الفقرتين بغيرهما ، فيسلم منه ، وأما الشاعر فإنه يصوغ قصيدا ذا أبيات متعددة على قافية من القوافي ، فإذا تكرر لديه شيء من الكلام في آخر بيت من الأبيات عسر إبداله من أجل القافية ، وهذا غير خاف والسؤال عنه غير وارد .

---

(١) من معلقته التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

(٢) من قصيدته في مدح الفتح بن خاقان ، (الديوان ٢/٧٦) وفي الديوان لك نافع .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التكرار وأقسامه عند ابن الأثير في الميزان

من خلال هذا العرض والدراسة للتكرار وأقسامه عند ابن الأثير، يمكن أن نقف على عدة حقائق أهمها ما يلي :-

١) يعد التكرار في نظر ابن الأثير لونا مستقلا عن الإطناب، فقد أفرده في باب مستقل عن باب الإطناب، وصرح بذلك عند تعريفه له فقال "وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة وبالتطويل مرة أخرى. وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الإطناب(١)".

غير أنه عند حديثه عن الفرق بينها صرح بأن المفيد من التكرير جزء من الإطناب، الأمر الذي يسمح أن نقول : كان أولى بابن الأثير أن يتناوله على أنه لون منه وليس على أنه مستقل عنه.

٢) قسم ابن الأثير التكرير كما رأينا قسمين : أحدهما : يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ، وقسم كلا منهما إلى مفيد، وغير مفيد، وذكر للمفيد أربع صور، ولغير المفيد صورتين، إلا أن غير المفيد لا يعد من البلاغة لما صرح به من أنه نوع من التطويل. لهذا كان الأولى أن يقتصر على المفيد منه دون التعرض لذكر غير المفيد لخلوه من الفائدة، ودخوله في التطويل.

٣) ذكر ابن الأثير في صدر كلامه عن التكرير فائدة عامة له هي تأكيد الكلام والتشييد من أمره للدلالة على العناية بالشيء الذي كرر فيه الكلام، وأورد عند

---

(١) ينظر المثل السائر. ج٣ ص (٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شرحه وتوضيحه للأمثلة التي ذكرها فوائد أخرى يقتضيها المقام وهذا شيء يحسب له .

٤) أتبع كل صورة من صور التكرار الست التي ذكرها بمجموعة من الأمثلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والمأثور عن العرب من شعر ونثر محللا وشارحا لها بأسلوب أدبي ينم عن سعة إطلاعه وتنوع ثقافته وإحساسه المرهف وإجادته لكثير من علوم العربية وذوق عربي أصيل . وهذا شيء يسجل له .

٥) كثيرا ما يتيه ابن الأثير بنفسه ، ويتعالى على غيره من العلماء ويتهم بعضهم بالقصور وضعف الهمة . من ذلك قوله[١] : وأعلم أن من هذا النوع يعني النوع الثاني وهو التكرير المفيد الذي يوجد في اللفظ والمعنى ويدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد قسما يكون المعنى فيه مضافا إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة . وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام ، فمنه قوله تعالى : "والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم[٢]" . والرجز هو العذاب وكذلك ورد قول البحتري :

ويـــوم تثنت للوداع وسلمت ... بعينين موصولا بلحظها السحر[٣]

توهمتها ألوي بأجفانها الكرى ... كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

فإن الكرى هو النوم .

---

(١) المثل السائر . ج٣ ص (١٥ ، ١٦) .

(٢) سورة سبأ : الآية (٥) .

(٣) ديوان البحتري : ٥٤/١ من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها :

متى لاح برق أو بدا طلل قفر ... جرى مستهل لا بكئ ولا نزل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم قال : وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه الصناعة ، وظنوه مما لا فائدة فيه ، وليس كذلك ، بل الفائدة فيه هي التأكيد للمعنى المقصود والمبالغة فيه أما الآية فالمراد بقوله تعالى : "عذاب من رجز" أي : عذاب مضاعف من عذاب . . . وأما بيت البحتري فإنه أراد أن يشبه طرفها لفتوره بالنائم ، فكرر المعنى على طريق المضاف والمضاف إليه تأكيدا له ، وزيادة في بيانه . وهذا الموضع لم يُنبه عليه أحد سواي . ولربما أُدْخِل في التكرير من هذا النوع ما ليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أيضا أحد سواي .

٦) إذا كان ابن الأثير قد اتبع كل صورة من صور التكرير الست التي أوردها بمجموعة من الأمثلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية . والمأثور من كلام العرب من شعر ونثر ليس بالشيء القليل . فإن فيما مثل به نظر سنكشف النقاب عنه إن شاء الله تعالى في المبحث التالي محققا القول فيه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث
أضواء على ما ذكره ابن الأثير من أصناف أنواع التكرار التي أوردها

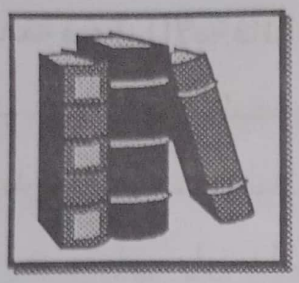

==========

لا شك أن ابن الأثير كما رأينا قد قسم التكرير قسمين :

أحدهما : تكرير في اللفظ والمعنى . والآخر : تكرير في المعنى دون اللفظ . وقسم كلا منهما إلى مفيد ، وغير مفيد . وجعل المفيد نوعين :

- وعليه فإن صور التكرير عنده ست :

أولها : تكرير مفيد يوجد في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان

ثانيها : تكرير مفيد يوجد في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرض واحد

ثالثها : تكرير غير مفيد في اللفظ والمعنى

رابعها : تكرير مفيد في المعنى دون اللفظ يدل على معنيين مختلفين

خامسها : تكرير مفيد يوجد في المعنى دون اللفظ ، يدل على معنى واحد فقط

سادسها : تكرير غير مفيد يوجد في المعنى دون اللفظ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا . وقد ساق لكل صورة منها مجموعة من الأمثلة . قام بشرحها وتحليلها . وقد ذكرت في المبحث السابق هذه الصور واتبعت كل صورة منها بمجموعة من الأمثلة التي ساقها ابن الأثير.

وقد وجدت من خلال قراءتي لهذه الأمثلة ودراستي لها والتفتيش عن مفهومها سؤالا يطرح نفسه وهو: هل كل الأمثلة التي مثل بها ابن الأثير لصور التكرير التي أوردها في موضعها بمعنى أنها تعد مثالا صحيحا لصورة التكرير التي سيقت لها أم لا ؟

والجواب : عن هذا السؤال هو أنه إذا كان ابن الأثير قد تميز بعقله الفذ وذوقه الأدبي الفريد ، وفكره المستنير ، وتذوقه للأساليب ، والبحث عما تحويه من معاني وأسرار ، فإن هناك من الأمثلة التي ساقها أرى أنه جانبها الصواب ، إذ لا تصلح أن تكون مثالا صحيحا لصورة التكرير التي مثل لها . وقد رأيت أن أكشف اللثام عنها وعن وجه عدم صحة التمثيل بها في هذا الموطن .

أولاً : أن ما مثل به ابن الأثير للصورة الأولى من التكرير المفيد الذي يوجد في اللفظ والمعنى ويدل على معنى واحد والمقصود به غرضان (١) . قوله تعالى : "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولوكره المجرمون (٢)".

يقول ابن الأثير : هذا تكرير في اللفظ والمعنى ، وهو قوله تعالى : "يحق الحق ، وليحق الحق" وإنما جيء به هاهنا لاختلاف المراد ، وذاك أن الأول تمييز بين

---

(١) ينظر المثل السائر . ج٣ ص ٥ .

(٢) سورة الأنفال : الآيتان (٧ ، ٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإرادتين. والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ، وانه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض (١) .

والحق أن هذا ليس من التكرير لأن قوله تعالى : "ويريد الله أن يحق الحق بكلماته" بيان للفرق بين الإرادتين ما يريده القوم ، وما أراده الله لهم . وقوله تعالى : "ليحق الحق" بيان لغرضه فيما فعل سبحانه . وهذا الاختلاف في الغرض يخرج الأسلوب من باب التكرير . وهذا ما يراه الزمخشري .

يقول الزمخشري : فإن قلت : أليس هذا تكرار ؟ قلت : لا ، لأن المعنيين متباينان ، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين ، وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة عل غيرها لهم ، ونصرتهم عليها ، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض (٢) .

وأرى أن الزمخشري على صواب فيما ذهب إليه ، لأن المعنى في الآيتين ليس واحدًا . ثم إن ما أورده ابن الأثير من تحليل لهاتين الآيتين هو ما قاله الزمخشري بنصه، وإن كان قد خالفه في عد الآيتين من باب التكرير. أضف إلى ذلك ما صرح به من اختلاف المراد الأمر الذي يقوي ما ذهب إليه الزمخشري من أن هذا ليس من التكرار لتباين المعنيين .

ومما مثل به أيضا لهذه الصور ، ولا يعد من التكرير قوله تعالى : "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين . قل إني أخاف

---

(١) ينظر المثل السائر : ج٣ ص(٥) .

(٢) ينظر الكشاف ج٢ ص ١٥٦ ، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري للدكتور أبو موسى ص ٦٧٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصا له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه[1]".

يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآيات : فإن قلت : معنى التكرير في قوله تعالى : "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين" . وقوله تعالى : "قل الله أعبد مخلصا له ديني" . قلت : ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص . والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه . ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول . فالكلام أولا : واقع في الفعل نفسه وإيجاده . وثانيا : فيمن يفعل الفعل لأجله وذلك رتب عليه قوله تعالى : "فاعبدوا ما شئتم من دونه" والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخليه[2] .

وبالمقارنة فيما ذكره الزمخشري وابن الأثير من شرح وتحليل لهذه الآيات نرى أن ما ذكره ابن الأثير قد استقاه من كلام الزمخشري . ولم يزد عليه شيئا يذكر إلا أنه خالفه في جعله هذه الآيات من باب التكرير . وفيما يبدو لي أن ما ذهب إليه الزمخشري هو الصواب .

ثانيًا : قال ابن الأثير : ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع يعني النوع الثاني وهو تكرير مفيد يوجد في اللفظ والمعنى ، يدل على معنى واحد ، والمراد به غرض واحد ما ليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أحد سواي ومنه قوله تعالى : "ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور

---

(١) سورة الزمر : الآيات (١١ : ١٥) .

(٢) ينظر الكشاف . ج٣ ص ٣٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رحيم[1]". فلما تكرر "إن ربك" مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة. وكذلك قوله تعالى: "ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم[2]". ومثل هذا قوله تعالى: "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب[3]". وهذه الآيات يظن أنها من باب التكرير، وليست كذلك. وقد أمعنت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير، وذلك أنه أطال الفصل من الكلام، وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم به.

فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية، ليكون مقارنا لتمام الفصل، كي لا يجيء الكلام منثورا لاسيما في "إن وأخواتها" فإذا وردت "إن" وكان بين أسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام فإعادة "إن" أحسن في حكم البلاغة والفصاحة كالذي تقدم من هذه الآيات[4].

هذا كلام ابن الأثير. وإذا ما تأملنا فيه. وجدنا كلامه فيه شيء من الاضطراب والتناقض. حيث قال عقب أول آية فلما تكرر "إن ربك" مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة فأثبت أن فيها تكريرا ثم قال بعد ذكره للآيات الثلاث. وهذه الآيات فيها يظن أنها من باب التكرير وليست كذلك. وقد أمعنت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير. وبذلك نفى أن يكون في هذه الآيات تكرير.

ومن الآيات التي اضطرب قوله فيها أيضا قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: "إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

---

(١) سورة النحل: الآية ١١٩.

(٢) سورة النحل: الآية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٨.

(٤) ينظر المثل السائر: ج٣ ص ١٦، ١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأيتهم لي ساجدين[1]" إذ نراه يقول معقبا عليها "فلما قال تعالى : "إني رأيت" ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول تعالى : رأيتهم لي ساجدين[2]" ففحوى كلامه هذا يشعر أنها من باب التكرير. مع أنه قد جعلها في حكم الآيات الثلاث السابقة التي يرى أنه لا تكرير فيها .

ومما يرجح جعل هذه الآية والآيات الثلاث السابق ذكرها من باب التكرير هو أن السيوطي[3] قد عد كل هذه الآيات من التكرير حيث قال عند كلامه عن التكرير وفوائده : "منها إذا طال الكلام وخشي تناسى الأول أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده . ومنه قوله تعالى : "ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها . . . [4]" وذكر هذه الآيات . وهذا ما أميل إليه .

ثالثا : عد ابن الأثير من التكرير في اللفظ والمعنى غير المفيد قول أبي نواس :

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا ويوما له يوم الترحل خامس

---

(١) سورة يوسف : الآية (٤) .

(٢) ينظر المثل السائر ج٣ ص ١٨ .

(٣) هو جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر السيوطي ، أحد أفراد الدهر علما وتصنيفا ، وإمام وقته شهرة وذيوعا . ولد ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة من الهجرة ، وحفظ القرآن الكريم وهو دون ثمان سنين ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه والنحو على جماعة من الشيوخ وأخذ الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الشار مساحي . ثم أجيز له بتدريس العربية سنة ٨٦٦هـ . وألف في هذه السن وكان أول شيء ألفه شرح الاستعاذة والبسملة ، وأخذت تتوالى مؤلفاته في مختلف فروع الثقافة الإسلامية والعربية جميعا ، وحفظ منها من منقول الكتب من أقوال العلماء والشراح ما لم ينقل عن طريق سواها . وقد شغل بجانب عمله في التصنيف والتأليف ، ببعض الوظائف ، وتولى منصب الإفتاء زمانا ، ودرس بالمدرسة الشيخونية ، ثم بالمدرسة البيبرسية . وكان رحمه الله عفيفا كريما ، صالحا تقيا رشيدا ، لا يمد يده إلى سلطان ، ولا يقف من حاجة على باب أمير أو وزير . توفي رحمه الله يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة في القاهرة . ينظر ترجمته في كتابه حسن المحاضرة .

(٤) ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ج٣ ص ٢٠٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفيما يبدو لي أنه ليس من التكرير إذ المقصود من قول أبي نواس : "أقمنا بها يوما ويوما" . أي ويوما ثانيا "وثالثا" أي ويوما ثالثا . "ويوما له يوم الترحل خامس" أي ويوما رابعا . فالشاعر لم يكرر ولا وجد اللفظ والمعنى معا مرددين مكررين لأن المراد من كل هذه الأيام كما هو واضح . ليس شيئا واحدا ثم إن ابن الأثير نفسه قد أشار إلى مراد الشاعر بقوله : ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها ثم إن تعقيب ابن الأثير على البيت بقوله "ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام[1]" يرجح عدم إدخاله في التكرير : هذا ومما يثير الدهشة والتساؤل أنه بعد أن أفصح عن مراد الشاعر يعلق على البيت بقوله : "ويا عجبا له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش[2] وكأن البيت لا فائدة فيه !

ومما عده ابن الأثير من التكرير في اللفظ والمعنى غير المفيد أيضا وهو ليس منه قول أبي الطيب المتنبي :

ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام[3]

يقول ابن أبي الحديد[4] :

---

(١) ينظر المثل السائر : ج٣ ص (٢٤) .

(٢) ينظر المرجع السابق ج٣ ص (٢٤) .

(٣) ينظر المثل السائر : ج٣ ص (٢٥) .

(٤) هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي الشيعي الفقيه الشاعر . ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦هـ . وكان من أعيان العلماء الأفاضل ، بارعا في علم الكلام على مذهب المعتزلة ، أديبا جيد النثر والشعر . اشتغل زمنا في الدواوين السلطانية ، وأدرك إغارة المغول على بغداد . ولما هجم عليها هولاكو في ٢٠ من المحرم سنة ٦٥٦هـ وأسرف في التخريب والتقتيل كان ابن أبي الحديد وأخوه موفق الدين أحمد بن أبي الحديد من الذين نجوا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي من أهم مؤلفاته شرح نهج البلاغة ، وكتاب العبقري الحسان . وشرح المحصل للإمام فخر الدين -

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال المصنف[1] في باب التكرير: التكرير على قسمين تكرير في اللفظ والمعنى جميعا، وتكرير في المعنى فقط دون اللفظ، فالأول نحو قوله لن تستدعيه "أسرع أسرع"، ونحو قوله تعالى: "يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون" ومثل قول أبي الطيب المتنبي:

ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام

أقول التمثيل باللفظة المذكورة وبالآية تمثيل جيد.

وأما التمثيل بالبيت فغير جيد، لأنه يتكرر فيه اللفظ والمعنى حسب تكرره في الآية وفي اللفظة المذكورة، لأنه لم يذكر في صدر البيت إلا نفي رؤية مثله ومثل جيرانه، ولم يبين في ماذا، ولا هذه المثلية والمشابهة في أي شيء، فمن الممكن أنه كان يعني لم أر مثلي ومثلهم في حُب بعضنا لبعض، أو في بغض بعضنا لبعض، أو في جودنا أو في شجاعتنا، أو في ديانتنا، فلما قال في البيت (لمثلي عند مثلهم مقام) كشف ذلك الإجمال، وأزال ذلك الإبهام، وأبان أن مراده لم أر مثلي مقيما بين ظهراني مثلهم، يعني أنهم في غاية الإساءة لعشرته، وأنه على غاية الصبر عليهم، والاحتمال لهم، وأن مقامه عظيم لا يصلح أن يكون مثله مقيما بين هؤلاء الرعاع.

فالشاعر لم يكرر كما تكررت ألفاظ الآية، ولا وجد اللفظ والمعنى معا مرددين مكررين في هذا البيت، ولكن أول ألفاظه يعطي معنى مجملا، والثاني يعطي معنى

- وغيرها. توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦هـ. ينظر فوات الوفيات لابن شاكر ج١ ص٦، محاضرات الخضري في تاريخ الدولة العباسية.

(١) يقصد بالمصنف: ضياء الدين ابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفصلا ، وهو شرح ذلك المجمل ، فلم يكن ذلك تكريرا مشتملا على إعادة اللفظ والمعنى معا ، فلم يجز إدخاله في هذا القسم ، وذكره في جملة أمثلته[١] .

رابعًا : مما مثل به ابن الأثير لتكرير المفيد الذي يوجد في المعنى دون اللفظ ، ويدل على معنيين مختلفين قوله تعالى : "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[٢]" . وقوله تعالى : "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى[٣]" وقوله تعالى : "فيهما فاكهة ونخل ورمان[٤]" . وهذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام . إلا أن ابن الأثير ألحقه بالتكرير المفيد الذي يوجد في المعنى دون اللفظ ويدل على معنيين مختلفين حيث يقول : "ومما ينتظم بهذا السلك أنه إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام[٥] إلا أنه عند الخطيب[٦] نوع مستقل بذاته من أنواع الإطناب وليس من التكرير[٧] .

---

(١) ينظر الفلك الدائر على المثل السائر : ص (٢٨٤ ، ٢٨٥) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٠٤) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٣٨) .

(٤) سورة الرحمن : الآية (٦٨) .

(٥) ينظر المثل السائر : ج٣ ص (٢٧ ، ٢٨) .

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن أبي دلف العجلي القزويني جلال الدين أبو المعالي . المعروف بالخطيب القزويني . ولد بالموصل سنة ٦٦٦هـ ولما شب تفقه على أبيه وعلماء وطنه كالإربلي وأبي العباس الفاروقي . كان فهما زكيا فصيحا ، خطيبا مفوها حسن الإيراد جميل الذات والهيئة والمكارم . آثاره العلمية : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع وهو من أجل مؤلفاته والإيضاح لتلخيص المفتاح وهو بمثابة الشرح للتلخيص . توفي سنة ٧٣٩هـ . ينظر شذرات الذهب ج٦ ص ١٢٣ ، مرآة الجنان ج٤ ص ٣٠ ، والبداية والنهاية ج٤ ص ١٨٥ . والنجوم الزاهرة ج٩ ص ٣١٨ .

(٧) ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح شرح عبد المتعال الصعيدي ج٢ ص ١٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامسًا : ذكر ابن الأثير أن من أقسام التكرير تكرير المعنى دون اللفظ ، وأوضح أن الناثر يعاب على استعماله مطلقا إذا أتى لغير فائدة ، وأما الناظم فإنه يعاب عليه في موضع دون موضع .

أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها، وأما الموضع الذي لا يعاب فيه فهو الأعجاز من الأبيات ، ولمكان القافية ، وإنما جاز ذلك وإن لم يكن عيبا ، لأنه قافية ، والشاعر مضطر إليها ، والمضطر يحل له ما حرم عليه(١) ، ومن أمثلة هذا النوع التي أوردها قول الشاعر(٢) :

إني وإن كان ابن عمي غائبا لمقاذف من خلفه ووراءه

ثم علق عليه بقوله : فإن خلفا ووراء بمعنى واحد ، وإنما جاز تكرارهما لأنهما قافية . إلا أن وراءه في البيت ليست بمعنى خلفه ، بل بمعنى قدام حيث إن المعنى أن الشاعر يقاتل دون ابن عمه إذا كان هو ها دياله ، وقد تخلف عنه . ويقاتل وراء إذا تقدمه ابن عمه ، فقوله (من ورائه) من البين الظاهر أنه بمعنى القدام(٣) .

يقول ابن أبي الحديد معلقا على تمثيل ابن الأثر بهذا البيت في هذا الموضع : المثال غير جيد ، لأن وراء قد وردت والمراد القدام في قوله تعالى : "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا(٤)" لأنه لو لم يكن قدامهم ما خافوا منه ولا احتاج إلى خرق السفينة .

---

(١) ينظر المثل السائر : ج٣ ص (٣٦) .

(٢) هو الهذيل بن مشجعة البولاني من شعراء الحماسة . "شرح ديوان الحماسة" للمرزوقي ج٤ ص ١٦٨ .

(٣) ينظر شرح البيت في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ج٤ ص ١٦٨٠ .

(٤) سورة الكهف : الآية (٧٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال لبيد[1] :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحني عليها الأصابع[2]

ومنه أيضا قوله سبحانه وتعالى : "من ورائه جهنم[3]".

وقال آخر :

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تيم والفلاة ورائيا ؟[4]

---

(١) هو لبيد بن ربيعة من عشيرة ذات سيادة ، وشرف في بني كلاب العامريين وهي عشيرة بني جعفر ، وقد اشتهر فيها أبوه ربيعة وأعمامه الطفيل وأبو براء ومعاوية ، ولقب أبوه "ربيع المقترين" لأنه كان بحرا فياضا ، وقد قتله بنو أسد في بعض حروبها مع قومه ، كان لبيد شاعرا مرموقا تيقظت فيه موهبته الشعرية وهو لا يزال حدثا وهو من الشعراء المخضرمين ، وقد أسلم وحسن إسلامه وتوفي في صدر خلافة معاوية سنة أربعين للهجرة . انظر ترجمته طبقات ابن سلام ص ٣٦١ ، وطبقات ابن سعد ج٦ ص ٣٠ ، وأسد الغابة ج٤ ص ٢٦٠ ، والموشح ص ٧١ .

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

انظر ديوان ٢٣ طبعة فينا بتحقيق ضياء الدين الخالدي المقدسي .

(٣) سورة إبراهيم : الآية (١٦) .

(٤) ينظر الفلك الدائر على المثل السائر ص (٢٩١ ، ٢٩٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

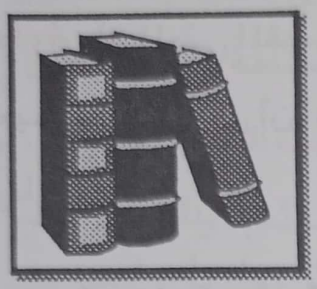

المبحث الرابع
أغراض التكرار وأسراره في ضوء ما أورده ابن الأثير

من الواضح أن التكرار أسلوب من أساليب العربية . فقد رأيناه في كلام العرب شعرا ونثرا ، كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . وقد رأينا أن ابن الأثير قد قسمه إلى ستة أنواع وأوضح أن هناك من أساليب التكرار ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة .

فالذي يأتي لفائدة يكون بليغا محمودا ، يكسب المعنى قوة وجمالا ، ويكسو اللفظ رونقا وبهاء . والذي يأتي لغير فائدة يكون ساقطا مذموما يقبح جلال المعنى ، ويشوه جمال اللفظ ، يعد جزءا من التطويل يذهب بالكلام عن حد البلاغة .

يقول ابن سنان الخفاجي (١) "وهذا حد ، يجب أن تراعيه في التكرار ، فمتى وجدت المعنى عليه ، ولا يتم إلا به لم تحكم بقبحه ، وما خالف ذلك قضيت عليه بالإطراح ونسبته إلى سوء الصناعة(٢) .

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي شاعر وأديب ، ولد سنة ٤٢٣هـ بقلعة (عزاز) من أعمال حلب ، وكان أبوه من أشراف البلدة ، أخذ العلم عن أبي العلاء المعري وغيره . وهندما أتم علومه ولي على قلعة عزاز ، وسخط على أولياء الأمر في عصره . فأعلن العصيان على الأمير محمود بن نصر . فأمر وزيره النحاس بتنفيذ مكيدة بابن سنان أودت بحياته فمات سنة ٤٦٦هـ . انظر ترجمته في كتابه "سر الفصاحة" .

(٢) أنظر سر الفصاحة ص ٩٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا فإنه ينبغي لمن يتصدى لنقد هذه الأساليب أن يدقق النظر فيها . فإذا رأى أن المعنى المقصود مبني عليها ، ولا يتم إلا بها ، لم يحكم عليها بالقبح والعيب. أما إذا رأى أن المعنى المقصود ، ليس مقصورا عليها حكم عليها بالقبح والرداءة(١) .

ومما يدل على أن للتكرار مزية ، ومقاصد سنية وأنه يأتي لفوائد جليلة وأغراض عظيمة وأسرار لطيفة مجيئه في القرآن الكريم وهو كتاب رب العالمين الذي هو قمة الفصاحة والبلاغة ، والذي تحدى به العرب أن يأتوا بأقصر سورة من مثله فعجزوا قال تعالى : "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين(٢)".

ويقول صاحب الطراز(٣) عن مزية التكرار في القرآن "وهكذا القول فيما ورد من الآيات المكررة ، فإنها لم تتكرر إلا لمقصد عظيم في الرمز إلى ذلك المعنى الذي سيقت من أجله ، فليحك الناظر قلبه في إدراك تلك اللطائف ، وليجعلها منه على بال وخاطر ، ولا يتساهل في إحرازها ، فليلمحها بمؤخر عينه ، فإنها مشتملة على أسرار ، ورموز من أحاط بها ، فقد أوتي من البلاغة مفاتيح الكنور(٤)

---

(١) دراسات حول ظاهرة التكرار في اللغة والقرآن للدكتور شيخون ص ٢٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٣) .

(٣) هو : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي أمير المؤمنين ببلاد اليمن من سنة ٧٢٩ إلى سنة ٧٤٩هـ من مؤلفاته الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، وله كتاب "الحاصر لفوائد مقدمة ابن طاهر" . وكتاب "الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل الأمة" . وقد صاغه في ثمانية عشر مجلدا توفي سنة ٧٤٩هـ انظر تاريخ علوم البلاغة ص ١٣٨ .

(٤) الطراز ج٢ ص ١٧٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول الرافعي في نفس المعنى "وهاهنا معنى دقيق في التحدي ما نظن العرب ، إلا وقد بلغوا منه عجبا : وهو (التكرار) الذي يجيء في بعض آيات القرآن ، فتختلف في طرق الأداء ، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة ، كالذي يكون في بعض قصصه ، لتوكيد الزجر والوعيد ، وبسط الموعظة ، وتثبيت الحجة ، ونحوها ، أو في بعض عباراته ، لتحقيق النغمة ، وترديد المنة ، والتذكير بالنعم ، واقتضاء شكره ، إلى ما يكون في هذا الباب . وهذا مذهب للعرب معروف ، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم للتهويل ، والتوكيد ، والتخويف ، والتفجع ، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة ، وكل ذلك مأثور عنهم ، منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة .

بيد أن وروده في القرآن ، مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته ، وأنهم يخلون عنه لقوة غريبة فيه ، لم يكونوا يعرفونها إلا توهما ، ولضعف غريب في نفوسهم ، لم يعرفونه إلا بهذه القوة ، لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين ، أو صور كل منها غير الأخرى وجها ، أو عبارة ، وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة، ومستمرون على العجز ، لا يطيقون ، ولا ينطقون ، فهذا لعمرك أبلغ في الإعجاز ، وأشد عليهم في التحدي ، إذ هو دليل على مجاوزتهم مقدار العجز النفسي الذي قد تمكن معه الاستطاعة ، أو تتهيأ المعارضة ، حينا بعد حين إلى العجز الفطري الذي لا يتأول فيه المتأول ، ولا يتعذر منه المتعذرون و لا يجري فيه الأمر على المسامحة .

وقد خفى هذا المعنى (التكرار) على بعض الملحدة وأشباههم ، ومن لا نفاذ لهم في أسرار العربية ، ومقاصد الخطاب ، والتأني بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة ، وأحالوه إلى النقص والوهن ، وقالوا : إن هذا التكرار ضعف وضيق ، من قوة وسعة ، وهو أخزاهم الله كان أروع وأبلغ وأسرى عن الفصحاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أهل اللغة ، والتصرفين فيها ، ولو أعجزهم أن يجيئوا بمثله ، ما أعجزهم أن يعيبوه، لو كان عيبا(١) .

وقال الزركشي : "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ، ظنا أنه لا فائدة له ، وليس كذلك ، بل هو من محاسنها ، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض ، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه ، وقرب وقوعه ، أو قصدت الدعاء عليه ، كررته توكيدا ، كأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه ، أو الاجتهاد في الدعاء عليه ، حيث تقصد الدعاء .

وإنما نزل القرآن بلسانهم ، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض ، وبهذا المسلك ، تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة ، وعلى ذلك يحمل ما ورد من تكرار المواعظ ، والوعد والوعيد ، لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة ، وكلها داعية إلى الشهوات ، ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع(٢) .

وإذا كان ابن الأثير في صدر كلامه عن التكرار قد ذكر له فائدة عامة بقوله : "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره(٣)" . فإنه من خلال دراستي لما ذكره من أقسام للتكرار ، وتتبعي لما أورده من أمثلة لهذه الأقسام استطعت أن أقف على عدة أغراض ولطائف تكشف عن أسرار جمال التكرار ورونقه أهمها ما يلي :-

---

(١) انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٩٣ .

(٢) انظر البرهان : ج٣ ص ٩ .

(٣) انظر المثل السائر : ج٣ ص ٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١) تثبيت المكرر في النفس :

كما في قوله تعالى : "كذبت قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون[١]" فكرر قوله تعالى "فاتقوا الله وأطيعون" ليؤكده عندهم ، ويقرره ويثبته في نفوسهم ، مع تعليق كل واحد منهما بعلة ، فجعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم ، وجعل علة الثاني حسم طمعه فيهم ، وخلوه من الأغراض فيما يدعوهم إليه[٢] .

وكما في قوله تعالى : "فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا[٣]" فإن الجملة الثانية تكرار للأولى لتثبيتها وتقرير معناها في النفوس ، وتمكينها في القلوب[٤] .

٢) تذكر ما قد بعد بسبب طول الكلام :

وهذا التكرار قد يكون مجردا عن رابط كما في قوله تعالى : "ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم[٥]" . وقوله تعالى : "ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا

---

(١) سورة الشعراء : الآيات (١٠٥ : ١١٠) .

(٢) ينظر المثل السائر : ج٣ ص ٨ .

(٣) سورة الانشراح : الآيتان (٥ ، ٦) .

(٤) ينظر الكشاف : ج٤ ص ٢٢١ .

(٥) سورة النحل : الآية (١١٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم[1]" فلما تكرر "إن ربك" مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة.

وقد يكون مع رابط كما في قوله تعالى : "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم[2]" فإنه لما طال الفصل أعاد قوله تعالى : "فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب"

لتذكره ومنه قول بعضهم من شعراء الحماسة :

أسجنا وقيدا واشتياقا وغربة ونأى حبيب إن ذا لعظيم

وإن امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا إنه لكريم

فإنه لما طال الكلام بين اسم إن وخبرها أعيدت "إن" مرة ثانية ، لأن تقدير الكلام : وإن امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا لكريم ، لكن بين الاسم والخبر مدى طويل ، فإذا لم تعد "إن" مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق[3].

وكما في قوله تعالى : "أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون[4]" فقوله تعالى : "أنكم" الثاني بناء على الأول . ادكارا به ، وخشية تناسيه[5].

---

(١) سورة النحل : الآية (١١٠) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٨٨) .

(٣) ينظر المثل السائر : ج٣ ص ١٧ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية (٣٥) .

(٥) انظر البرهان : ج٣ ص ١٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣) الدلالة على الإبطاء في الفعل :

ومن أمثلته الواردة عن ابن الأثير قوله تعالى : "فأصبح في المدينة خائفا يترقب ، فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين . فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس (١)".

فقوله تعالى : "فلما أن أراد أن يبطش" بتكرير "أن" مرتين دليل على أن موسى عليه السلام لم يكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول ، بل كان عنه إبطاء في بسط يده إليه ، فعبر القرآن عن ذلك في قوله تعالى : "فلما أن أراد أن يبطش (٢)".

ومنه قول الأعشى في قصيدته المشهورة التي يمدح بها النبي ﷺ :

فآليت لا أرثي من كلالة ولا من وجي حتى تلاقي محمدا

فإن (الوجي والكلالة) معناهما سواء ، وإنما حسن تكراره هاهنا ، للإشعار ببعد المسافة (٣).

---

(١) سورة القصص : الآيتان (١٨ ، ١٩) .

(٢) انظر المثل السائر : ج٣ ص ١٣ .

(٣) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم مسهدا

وفي الديوان (ولا من حقي) شرح الديوان ص ١٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤) التقرير :

ومنه قوله تعالى : "ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا . ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا[١]" . فتكرير قوله تعالى : "ولله ما في السماوات وما في الأرض" تقرير لما هو موجب تقواه ، ليتقوه ، ولا يعصونه ، لأن الخشية ، والتقوى أصل الخير كله[٢] .

وكما في قوله تعالى : "من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين[٣]" .

فتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وترك الضمير إلى الصريح ، لتقريره أن لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح ، وقوله تعالى : "إنه لا يحب الكافرين" . تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس[٤] .

٥) الدلالة على شدة الخطب النازل وتكاثر سهامه في القلب :

كما قال تعالى : "قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون[٥]" . فإن البث والحزن بمعنى واحد وإنما كرره هاهنا لشدة الخطب النازل به ، وتكاثر سهامه النافذة في قلبه[٦] . ومنه قول الحسين بن مطر :

---

(١) سورة النساء : الآيتان (١٣١ ، ١٣٢) .

(٢) انظر الكشاف : ج١ ص ٣٠٣ .

(٣) سورة الروم : الآيتان (٤٤ ، ٤٥) .

(٤) انظر الكشاف : ج٣ ص٢٠٦ .

(٥) سورة يوسف : الآية (٨٦) .

(٦) انظر المثل السائر : ج٣ ص ١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا

ففي تكرار قوله "يا قبر معن" دلالة على الحزن الكمين في نفسه والنار المندلعة بين جوانحه على فقده .

٦) التوكيد :

ومنه قوله تعالى : "الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كثفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين[١]" .

فقوله تعالى : "من قبله" بعد قوله سبحانه : "من قبل" فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك[٢] . فذكر قوله تعالى "من قبله" بعد قوله سبحانه : "من قبل" في الآية الكريمة من باب التكرير الذي يفيد التوكيد .

ومنه قول رسول الله ﷺ لبني هشام بن المغيرة حين استأذنونه أن ينكحوا ابنتهم عليا : "فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يطلق عليٌّ ابنتي وينكح ابنتكم" . فقوله ﷺ "لا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن" من التكرار الذي قصد به تأكيد القول في منع عليٍّ رضي الله عنه من التزويج بابنة أبي جهل بن هشام[٣] .

---

(١) سورة الروم : الآيتان (٤٨ ، ٤٩) .
(٢) انظر الكشاف للزمخشري : ج٣ ص ٢٠٧ ، والمثل السائر : ج٣ ص ١١ .
(٣) انظر المثل السائر : ج٣ ص ١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقول كثير عزة :

فوالله ثم الله ما حل قبلها ولا بعدها مخلوقة حيث حلت

فقوله "فوالله ثم الله" من التكرير الذي يفيد التوكيد .

٧) التلذذ بذكر المكرر :

ومنه قول مروان بن الأصفر بن أبي الجنوب :

سقى الله نجدا والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأى والبعد

نظـــرت إلى نجد وبغداد دونها لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد

فكرر لفظة "نجد" ست مرات لتلذذه بذكرها . لأنه مقام تشوق وتحزن وموجلة لفراق نجد(١) .

٨) تعدد المتعلق تعظيما لشأنه :

ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن : "فبأي آلاء ربكما تكذبان" . وذلك عند كل نعمة عددها على عباده . حيث إنه عدد في هذه السورة نعماءه ، وادكر عباده آلاءه . ونبههم على قدرته ، ولطفه بخلقه ، ثم أتبع كل خلة وصفها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم ، ويقررهم بها(٢) .

---

(١) انظر أنوار الربيع : ج٥ ص ٤٣٨ .

(٢) انظر المثل السائر : ج٣ ص ٢٠ ، وتأويل مشكل القرآن : ص ٢٣٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩) الحث على العظة والاعتبار والتأمل :

كما في قوله تعالى في سورة القمر : "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" . فقد كررت الآية الكريمة في السورة كثيرًا للتنبيه لأن ما سيأتي بعدئذ مما عنى القرآن بالحديث عنه تذكرة وعظة . وهو لذلك جدير بالتأمل للعظة والاعتبار(١) .

ويقول صاحب الطراز "وإنما كرره لما يحصل فيه من إيقاظ النفوس بذكر قصص الأولين وذكر ما أصابهم من المثلات وحل بهم من أنواع العقوبات فيكون بمنزلة قرع العصا . لئلا تستولي عليهم الغفلة ويغلب عليهم الذهول والنسيان"(٢) .

١٠) الإيحاء بالرهبة والخوف :

كما في قوله تعالى في سورة المرسلات : "ويل يومئذ للمكذبين" فقد كررت تلك الآية الكريمة المنذرة بالعذاب للمكذبين للإيحاء بالرهبة والخوف في نفوسهم فيزدجوا .

يقول صاحب الطراز : "وإنما كرر ذلك لأنه لما ذكر يوم القيامة وأنه كائن لا محالة ، ثم عدد هذه الأمور كلها ، وأنها كالدلالة عليه ، وما من واحدة منها إلا ويعقبها بقوله تعالى : "ويل يومئذ للمكذبين" مبالغة في الإنكار عليهم وتأكيدًا لوقوع الوعيد والغضب لأجل تكذيبهم ، وحذار عن الإتيان بمثل ما أتوا به من إنكار هذا اليوم العظيم"(٣) .

ففي هذا التكرار ما يوحي بالرهبة ، ويملأ القلب رعبا من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب .

---

(١) انظر الكشاف : ج٣ ص ٤٧ .

(٢) انظر الطراز : ج٢ ص ١٧٨ .

(٣) انظر الطراز : ج٢ ص (١٧٨ ، ١٧٩) ، ومن بلاغة القرآن : ص ٣٤٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١) زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة والإيقاظ من سنة الغفلة . ليكمل تلقي الكلام بالقبول :

ومن أمثلته الواردة عند ابن الأثير قوله تعالى : "وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار[١]" . فقد كرر نداء قومه هاهنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سنة الغفلة ولأنهم قومه وعشيرته . وهم فيما يوبقهم من الضلال ، وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وأن ينزلوا على نصيحته لهم[٢] .

١٢) الزيادة في تحسين المعنى المراد :

كما في قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم . وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم[٣]" . فإنه إنما كرر "العفو والصفح والمغفرة" والجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزوج عن زوجته[٤] .

١٣) التنويه بالمكرر والإشادة بذكره :

ومن ذلك قول النبي ﷺ في وصف يوسف الصديق عليه السلام : "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" يعني أنه نبي بن نبي

---

(١) سورة غافر : الآيتان (٣٨ ، ٣٩) .

(٢) انظر المثل السائر : ج٣ ص ١٩ ، وأنوار الربيع : ج٥ ص ٣٤٦ .

(٣) سورة التغابن : الآية (١٤) .

(٤) انظر المثل السائر : ج٣ ص ٣٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بن نبي بن نبي ، فقد تنوسخ من الأصلاب الشريفة إلى الأرحام الطاهرة . فهذا تكرير بالغ دال على نهاية الشرف ، وإعظام المنزلة ورفع الرتبة عند الله(١) .

ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

العارض الهتن ابن العارض الهتن أبـ ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن(٢)

فالتكرير في البيت للتنويه بالمكرر والإشادة بذكره . والدلالة على إغراق الممدوح في الكرم(٣) .

وقول الخنساء(٤) في أخيها صخر :

---

(١) انظر الطراز : ج٢ ص ١٨١ ، وأسرار التكرار في اللغة وفي القرآن للدكتور محمود شيخون ص ٢٧ .

(٢) ديوان المتنبي : ج٤ ص ٢٠٩ من قصيدة له في مدح أبي عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي ، ومطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

"والعارض" السحاب يعترض في الأفق . ومنه قوله تعالى : "عارض ممطرنا" . والهتن : يقال : هتنت السماء هتنا وهترنا ، وهتانا ، وهتانت انصبت ، أو هو فوق الهطل ، أو الضعيف الدائم ، أو مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود ، وسحاب هاتن وهتون .

(٣) انظر الطراز : ج٢ ص ١٨٧ . يقول ابن الأثير : إنه كالخبر النبوي من جهة المعنى سواء بسواء ، لكن لفظه ليس بمرضي على هذا الوجه الذي قد استعمل فيه فإن الألفاظ إذا كانت حسانا في حال انفرادها فإن استعمالها في حال التركيب يزيدها حسنا على حسنها ، أو يذهب الحسن عنها ، ولو تمنياً لأبي الطيب المتنبي أن يبدل لفظه "العارض" بلفظة "السحاب" أو ما يجري بجراها لكان أحسن . وكذلك لفظة "الهتن" فإنها ليست بمرضية في هذا الموضع على هذاالوجه . ولفظة "العارض" وإن كانت قد وردت في القرآن ، وهي لفظة حسنة . فالفرق بين ورودها في القرآن الكريم ووردوها في هذا البيت الشعري ظاهر . انظر المثل السائر : ج٣ ص (٢٢ ، ٢٣) .

(٤) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد ، من أهل نجد ، ولقبت بالخنساء لجمال أنفها لأن الخنس من الجمال . وكانت جميلة عاقلة شريفة . وكان أبوها من سادات العرب . وكان لها أخوان هما صخر ومعاوية ، وقد خطبها دريد بن الصمة ، فارس هوازن ، فأبت وآثرت الزواج من قومها وتزوجت أحد أبناء عمومتها . مات أخوها صخر ومعاوية فانطلق لسانها برثيهما . وأبرز ما في شعرها الرثاء والفخر . وقد أسلمت . ووفدت على -

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن صخرا لمولانا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لمنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به كـأنه علـم في رأسـه نـار

قد كررت اسم أخيها "صخرا" للتنويه به والإشادة بذكره وأنه جدير بتلك الخصال الحميدة التي نسبتها إليه .

١٤) المبالغة في الذم :

ومن أمثلته قوله تعالى : "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (١)" .

فقوله تعالى : "لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر" يقوم مقام قوله تعالى : "ولا يدينون دين الحق" ، لأن من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين دين الحق ، وإنما كررها هاهنا للخطب على المأمور بقتالهم ، والتسجيل عليهم بالذم ، ورجمهم بالعظائم، ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم .

وكذلك قوله تعالى : "وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كان تراباً أئنا لفي خلق جديد ، أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم

- النبي ﷺ وأنشدته شعرها ، فأعجب به واستزادها ، فظلت تزيده مما قالت . وشهد أولادها الأربعة معركة القادسية . واستشهدوا جميعا فلما نعوا إليها قالت : الحمد لله الذي شرفني بموتهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته . ولم ينأثر شعرها بالإسلام . وأنشدت النابغة في الجاهلية شعرها في سوق عكاظ ، فقال لها : لولا أن الأعشى سبقك ، لفضلتك على من في السوق .

(١) سورة التوبة : الآية (٢٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها خالدون[1]". فتكرار لفظة "أولئك" من قبيل هذا الغرض لكان شدة النكير وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث.

١٥) التنوع في المعنى بضروب من الصنعة قصدا للمبالغة :

وذلك كما في قوله تعالى : "كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد. وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب[2]". فقد كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب الصنعة، فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستئنائية فأوضحه لأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل، لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم.

وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً، وبالاستئنائية ثانيًا، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه[3].

ومنه قول أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه : "اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم قدري، وأجمعوا على منازعتي أمرا هو لي، ثم قالوا : ألا في الحق أن نأخذه وفي الحق أن أمنعه".

---

(١) سورة الرعد : الآية (٥).

(٢) سورة ص : الآيات (١٢ : ١٤).

(٣) انظر الكشاف : ج٣ ص (٣١٨، ٣١٩). والمثل السائر : ج٣ ص ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإنما كرر قوله "في الحق" مبالغة في التوجع وإعظاما في التهكم بهم حيث اعتقدوا أن منعهم هو الحق بزعمهم وهذا من التكرير الذي بلغ في الفصاحة أعلاها وأصعد في ذروتها وحل أقصاها(١).

١٦) التعجب :

كما في قوله تعالى : "فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر(٢)". فإن الجملة الثانية تكرار للأولى والغرض من التكرار التعجب من تقديره ، وإصابته فيه المحز، ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش(٣).

١٧) الإيحاء باليأس :

كما في قوله تعالى : "قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين(٤)".

فإن التكرار هنا يوحي باليأس إلى قلوب من كفروا من أن ينصرف الرسول ﷺ عن دينه إلى ما كان يعبد هؤلاء الكفرة ، فليتدبروا أمرهم بينهم مليا فعساهم يدركون أن هذا السر. هو أن الرسول ﷺ. على حق ، فيما يدعو إليه ، فلم ينصرف عنه إلى أديان ، لا سند لها من الصواب والحق(٥).

---

(١) انظر الطراز : ج٢ ص (١٨١ ، ١٨٢) .

(٢) سورة المدثر : الآيتان (١٩ ، ٢٠) .

(٣) انظر الكشاف : ج٤ ص ١٥٨ . وانظر المثل السائر : ج٣ ص ٩ .

(٤) سورة الكافرون .

(٥) انظر من بلاغة القرآن : ص ١٥٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول ابن الأثير : في معنى هذه السورة "إن معنى قوله تعالى : "لا أعبد" يعني في المستقبل من عبادة آلهتكم ، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ، وقوله سبحانه : "ولا أنا عابد ما عبدتم" . أي وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم ، يعني أنه لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يرجى ذلك مني في الإسلام !!! . وقوله جل وعلا : "ولا أنتم عابدون ما أعبد" في الماضي في وقت ما ما أنا على عبادته الآن[1] .

١٨) تثبيت المكرر في النفس :

كما في قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون[2]" .

فقد كرر الأمر بالتقوى لتثبيتها في النفس . قال صاحب الكشاف . كرر الأمر بالتقوى تأكيدا ، واتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد[3] .

ومن أمثلته قولنا : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" يقول ابن الأثير : لأن قولنا "لا إله إلا الله" مثل قولنا "وحده لا شريك له" وهما في المعنى سواء وإنما كررنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته ، وذاك لأن من الناس من يخالف فيه كالنصارى والوثنية[4] .

---

(١) انظر المثل السائر : ج٣ ص ٧ .

(٢) سورة الحشر : الآية ١٨ .

(٣) انظر الكشاف : ج٤ ص ٨٤ .

(٤) انظر المثل السائر : ج٣ ص ١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنه قوله تعالى : "فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا[1]" . فإن الجملة الثانية تكرار للأولى لتثبيتها . وتقرير معناها في النفوس ، وتمكينها في القلوب[2] .

هذه أهم أغراض وأسرار التكرار التي استطعت أن أتوصل إليها في ضوء ما أورده ابن الأثير من أمثلة للتكرار وأقسامه . وإن كانت هناك أغراض أخرى للتكرار تعرف من سياق الكلام وقرائن الأحوال يهتدي إليها صاحب الذوق السليم .

(١) سورة الشرح : الآيتان (٥ ، ٦) .

(٢) انظر الكشاف : ج٤ ص ٢٢١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

==========

بعد هذه الدراسة الموجزة لموضوع التكرار وأسراره عند ضياء الدين في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. والتي حرصت فيها على إلقاء الضوء على ما ذكره ابن الأثير في هذا الموضوع من تعريفات وتقسيمات وأمثلة لهذه الأقسام وما أورده من فروق بينه وبين الإطناب والتطويل محاولا كشف النقاب عن ما يمكن أن يستفيد به الدارس والباحث لهذا الموضوع. وما يحسب لابن الأثير أو عليه.

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها ما يأتي :-

١) أن ابن الأثير يرى أن الإطناب إطناب موضوع فلا عبرة فيه بعدد الكلمات، أو الجمل بل المعول عليه هو اقتضاء المقام.

٢) ذكر ابن الأثير للإطناب عدة أقسام لن نرشيئا منها عند الخطيب القزويني، ويبدو أنها لم ترق له، فذكر له أقساما أخرى. إلا أن الدارس لكتاب ابن الأثير يجد فيه صورا من صور الإطناب عند الخطيب. كالتكرار وذكر الخاص بعد العام، والاعتراض، والإيغال. وإن كان ابن الأثير قد أوردها في أبواب مستقلة عن باب الإطناب.

٣) فرق ابن الأثير بين الإطناب والتكرار والتطويل بأن الإطناب : زيادة اللفظ فيه عن المعنى لفائدة، والتطويل الزيادة فيه لغير فائدة. أما التكرار فإنه دلالة اللفظ على المعنى مرددا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤) تكلم ابن الأثير عن التكرار في باب مستقل عن الإطناب إلا أنه عند كلامه عن الفرق بينهما صرح بأن المفيد منه جزء من الإطناب . وغير المفيد جزء من التطويل . وعليه فإن التكرار منه ما يكون حسنا يكسب المعنى قوة وجمالا ، ويكسو اللفظ رونقا وبهاء وهذا النوع يكون من البلاغة . ومنه ما يكون رديئا يقبح جلال المعنى ، ويشوه جمال اللفظ وهذا النوع ليس من البلاغة في شيء .

٥) قسم ابن الأثير التكرار إلى قسمين : أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى ، والآخر : يوجد في المعنى دون اللفظ . وقسم كلا منهما إلى مفيد وغير مفيد ، وذكر للمفيد أربع صور ولغير المفيد صورتين ولم نجد هذه الأقسام عند الخطيب القزويني .

٦) أدخل ابن الأثير ذكر الخاص بعد العام في التكرار وجعله من التكرار الذي يوجد في المعنى دون اللفظ ويدل على معنيين مختلفين . إلا أنه عند الخطيب نوع مستقل بذاته من أنواع الإطناب وليس من التكرير .

٧) أشار ابن الأثير في صدر كلامه عن التكرار إلى فائدة عامة له هي تأكيد الكلام والتشييد من أمره للدلالة على العناية بالشيء الذي كرر فيه الكلام . وأورد عند شرحه وتحليله للأمثلة التي ذكرها فوائد أخرى يقتضيها المقام ويوحي بها السياق .

٨) أتبع ابن الأثير كل صورة من صور التكرار التي ذكرها بمجموعة من الأمثلة محللا وشارحا لها بأسلوب أدبي ينم عن سعة إطلاعه وتنوع ثقافته وهذا شيء يحسب له . إلا أنه كثيرا ما يتيه بنفسه ، ويتعالى على . غيره من العلماء ويتهم بعضهم بالقصور وضعف الهمة في حين أنه اعتمد في كثير من تحليلاته وشروحه لما أورده من أمثلة على غيره من العلماء أمثال الزمخشري . ولم يشر إلى واحد منهم إلا عند نقده له وهذا شيء يحسب عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩) أن التكرار المفيد إنما يجيء في الكلام لأهداف سامية ، ومقاصد بليغة وأسرار ولطائف عجيبة . وأغراض عظيمة . وإدراك هذه الأسرار واللطائف وخاصة ما ورد منه في القرآن الكريم والسنة النبوية يحتاج إلى موهبة . وإحاطة بقواعد اللغة ودقائقها . كما يحتاج إلى سلامة القلب وصفاء الذهن ، ونور البصيرة . وقوة الإدراك .

١٠) أن التكرار من الأساليب التي تجري على ألسنة العامة والخاصة لما له من أغراض . وأسرار يقصدها المتكلم من تكراره . مما يدل على عظيم شأنه وعلو مكانه بين أساليب التعبير.

١١) أن أسرار التكرار ولطائفه كثيرة تكاد لا تحصر يهتدي إليها ويقف على جمالها صاحب الذوق السليم من خلال سياق الكلام وقرائن الأحوال .

١٢) يعد التكرار في القرآن الكريم . وخاصة ما ورد منه في بعض مشاهد القصص القرآني في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم حيث إنه وسع على أرباب الفصاحة والبيان من العرب مجال المعارضة والمحاكاة ، وسهل عليهم طريق التحدي ، إلا أنهم بهتوا وباتوا عاجزين صاغرين .

ثم إن المتأمل في التكرار في قصص القرآن الكريم يجد أنه لا يتناول القصة كلها وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها . وغالبه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها . أما جسم القصة فلا يكرر إلا نادرا ولمناسبات خاصة في السياق وهذا من أقوى الأدلة على أن القرآن الكريم من عند رب العالمين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه . وأدعو الله عز وجل أن يبارك في هذا الجهد المتواضع . وأن يحظى بالرضا والقبول ، وأن يسدد الخطى إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

"ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا"

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي العربي الأمي الذي أوتي جواع الكلم وعلى آله وصحبه وسلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم المراجع ومصادر البحث

١- القرآن الكريم .

٢- الإتقان في علوم القرآن . للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة التراث .

٣- الأغاني . لأبي الفرج الأصفهاني . دار الفكر . بدون تاريخ .

٤- الإبانة عن سرقات المتنبي .

٥- الأنساب . لعبد الكريم محمد السمعاني . حيدر آباد . الدكمن الهند . ١٩٧٩م .

٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة . لعز الدين بن الأثير . تحقيق محمد إبراهيم البنا وغيره . مطبعة الشعب بدون تاريخ .

٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . لمصطفى صادق الرافعي . ط القاهرة . ١٩٧٣م .

٨- أنوار الربيع في أنواع البديع . تأليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني . تحقيق شاكر هادي شاكر . مطبعة النعمان بالعراق ١٩٦٨م .

٩- أسرار التكرار في اللغة وفي القرآن . للأستاذ الدكتور محمود السيد شيخون .

١٠- إعجاز القرآن . لأبي الطيب المعروف بالباقلاني . طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٥٤م تحقيق السيد أحمد صقر .

١١- الإيضاح لتلخيص المفتاح . شرح عبد المتعال الصعيدي . مكتبة الآداب بالجماميز . ط الرابعة .

١٢- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية . الدكتور محمد محمد أبو موسى . مكتبة وهبة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣- البلاغة تطور وتاريخ . للدكتور شوقي ضيف . دار المعارف ط٦ بدون تاريخ .

١٤- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها . أحمد المراغي .

١٥- تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة بن مسلم المروزي . تحقيق السيد أحمد صقر. مطبعة الحضارة العربية بالقاهرة ١٩٧٣م .

١٦- الجامع الصغير للسيوطي مطبعة المشهد الحسيني .

١٧- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص . دار السرور بيروت لبنان .

١٨- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط عيسى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٩- ديوان البحتري المطبعة الهندسية بمصر ١٣١٩هـ/١٩١١م .

٢٠- ديوان أبي تمام بشرح أبي الخطيب التبريزي تحقيق د. محمد عبده عزام . مطبعة دار المعارف ط صبيح .

٢١- ديوان المتنبي شرح العكبري . بتحقيق مصطفى محمد السقا . وغيره .

٢٢- ديوان الحماسة لأبي تمام شرح المرزوقي ت. الأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .

٢٣- دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق وشرح أ.د محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٢٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.

٢٥- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي دار الكتب العلمية بيروت .

٢٦- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف دار الكتاب العربي .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٧- شروح التلخيص المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة سنة ١٣١٧هـ.

٢٨- الصناعتين. الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري تحقيق د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٩- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم خصائص الإعجاز يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي دار الكتب اعلمية بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٠- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ضمن شروح التلخيص.

٣١- العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني ت. دكتور مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٢- الفلك الدائر على المثل السائر.

٣٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري دار المعرفة بيروت.

٣٤- لسان العرب لابن منظور المصري دار المعارف بدون تاريخ.

٣٥- الموشح للمزرباني.

٣٦- مواهب الفتاح لابن يعقوب المغرب (ضمن شروح التلخيص) طبعة بيروت لبنان.

٣٧- مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص طبعة بيروت.

٣٨- معجم البلدان ياقوت الحموي دار صادر بيروت ١٩٥٧م.

٣٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة دار نهضة مصر بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٠- من بلاغة القرآن تأليف الدكتور أحمد أحمد بدوي ط ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.

٤١- المطول لسعد الدين التفتازاني مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

تم بحمد الله ؛؛؛

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner